



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون



مطبوعة دروس خاصة بمقياس :

الأدب العربي القديم

محاضرات موجهة إلى طلبة ثانية ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

السداسي : الأول

إعداد الأستاذة : مسعودة نويجم

العام الجامعي : 2025م/2026م

عنوان الماستر: أدب حديث ومعاصر

السداسي: الثالث

اسم الوحدة: الاستكشافية

اسم المادة: أدب عربي قديم

الرصيد: 01

المعامل: 01

أهداف التعليم: (ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه

المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

يكتسب الطلبة معرفة واسعة حول الكتاب والخطباء العرب الكبار، في مختلف العصور

والأقاليم، وأهمّ الفنون النثرية التي كتبوا فيها، وأجود نصوصهم، وأهمّ معانيها.

تعرف الطالب مراحل تطور النثر العربي القديم.

تعرف الطالب أشكال الفنون النثرية.

الوقوف على بعض الكتب والمؤلفات العربية القديمة.

المعارف المسبقة المطلوبة : (وصف تفصيلي للمعرف المطلوبة والتي تمكن الطالب من

مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).

سبق للطلبة تلقى لمحة وأفكار مقتضبة حول فنون النثر العربي القديم. وحول الأدب العباسي وخصوصيته التي امتاز بها بفضل الامتزاج الثقافي، الخطاب الشعري في عصري النبوة والخلفاء الراشدين والعصر الأموي، ومظاهر تغيره من حيث القيم المضمون والشكل، النثر الفني بأشكاله المختلفة وبطرائق أدائه في موكب الإسلام عصري الأمويين والعباسيين.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطلاب)

المادة: الأدب العربي القديم **السداسي:** الثالث **المعامل:** 01 **الرصيد:** 01

01 الشعرية العربية القديمة: الشعر الجاهلي: المعلقات ، الصّعاليك.

02 الأغراض القديمة المشهورة وأبرز معانيها.

03 مدخل حول حركة التجديد شعر العربي العباسي لمحة تاريخية .

04 مظاهر التطور والتجديد في الشعر العباسي.

05 شعر العصبية (الشعر المذهبي والسياسي) .

06 المديح النبوي.

07 الشعر الصوفي.

08 شعر النكبات والمحن (رثاء المدن والممالك الزائلة).

09 بنية القصيدة وخصائصها الفنية .

10 النظرية العربية القديمة: الخطابة في العصر الأموي.

11 الكتابة في العصر العباسي: عوامل تطورها ، موضوعاتها، أعلامها، خصائصها الفنية.

12 تطور الأساليب النثرية ، من الترسل الطبيعي ، إلى الترسل الصناعي القائم على الإطناب و الازدواج.

13 ظهور أجناس أدبية جديدة ، فن الموشحات.

14 المقامة، رموزها الاجتماعية ، قيمها الإسلامية، وخصائصها.

15 الحكم والأمثال ، الوصايا ، الخطابة، أدب الرحلة. الرسائل بأنواعها (ديوانية، إخوانية وأدبية)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة ، امتحان....إلخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

تقييم متواصل ينتهي بامتحان نهائي

المراجع: (كتب ، مطبوعات ، مواقع انترنت، إلخ)

1.الأدب الكبير، والأدب الصغير لابن المقفع.

2.الأدبية في التراث النقدي لتوفيق الزيدي.

3. الأُسس الجمالية، عز الدين إسماعيل.
4. تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس.
5. التجربة الجمالية عند العرب، حسين الواد .
6. رسائل بديع الزمان الهمذاني لأحمد بن الحسين الهمذاني.
7. الشَّعر والشَّعراء، لابن قتيبة.
8. الشَّعراء الصَّعاليك في العصر الجاهلي ليوسف خليف.
9. الشعرية العربية جمال الشيخ.
10. صوت الشَّاعر القديم، وقراءة ثانية لشعرنا القديم، لمصطفى ناصف.
11. طبقات فحول الشَّعراء، لابن سلام الجمحي.
12. العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، لشوقي ضيف.
13. عمود الشعر العربي. د. محمد الحارثي.
14. في النَّصِّ الشَّعري العربي (مقاربات منهجيَّة)، لسامي سويدان
15. الكامل، والفاضل للمبرد.
16. المجموعات الشَّعريَّة: كالمعلَّقات، والمفضليَّات، والأصمعيَّات، وجمهرة أشعار العرب في الجاهليَّة والإسلام.

17. المعارف، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار لابن قتيبة.

18. مقامات الحريري .

19. الموازنة: بيئتها، ومناهجها في النقد الأدبي / د. محمد فوزي مصطفى.

20. يتيمة الدهر، وكتاب الفرائد والقلائد، وكتاب الآداب للشعالبي.

الشعرية العربية القديمة: الشعر الجاهلي: المعلقات ، الصعاليك

يُعدّ الشعر الجاهليّ من أقدم وأهمّ الفنون الأدبية العربية، حيث نشأ في الجزيرة العربية قبل الإسلام بقرونٍ طويلة، وكان يُمثّل ذاكرة العرب ووسيلةً للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم وتجاربهم. تميّز هذا الشعر بخصائص فريدة جعلته مختلفاً عن الشعر في العصور اللاحقة من حيث الأغراض والموضوعات والأسلوب.

وتنوّعت أغراض الشعر الجاهليّ لتشمل مختلف جوانب حياة العرب، من مدحٍ وفخرٍ ورتاءٍ وغزلٍ وهجاءٍ ووصفٍ وسخريةٍ. فكان الشاعر الجاهليّ يُعبّر عن مشاعر الفخر بنسبه وقبيلته، ويُمجّد مآثر أبطاله، ويُرثي من فارق الحياة، ويُغزل في حبيبته، ويُهجو أعداءه ويصف الطبيعة والحياة اليومية، ويسخر من بعض العادات والتقاليد.

كما تميّز الشعر الجاهليّ بأسلوبه الخاصّ، حيث اعتمد على اللغة العربية الفصيحة بأعلى مستوياتها، وتنوّعت بحوره وأوزانه، واستخدم الشعراء الجاهليّون مختلف الصور البيانية مثل التشبيه والاستعارة والكناية، لإيصال أفكارهم ومشاعرهم بقوةٍ وجمالٍ.

ولعب الشعر الجاهليّ دوراً هاماً في المجتمع العربيّ قبل الإسلام ، فكان يُستخدم في المناسبات الاجتماعية المختلفة ، مثل حفلات الزفاف والولادة ، ومجالس القبائل والحروب. كما كان يُستخدم لنشر الأخبار والأفكار، وتخليد مآثر الأبطال، وحفظ الأنساب.

1/تعريفه:

الشعر الجاهليّ يمكن تعريفه بأنّه: وصف مُزيّن بالشواهد لحياة الجاهليّة ، وأفكارها حيث عكس العرب من خلاله صورة حقيقية دون تزويق، ولا تشويه.

والشعر الجاهليّ: هو الشّعْر الذي ظهر عند العرب قبل الإسلام بحوالي 150 سنة ، إذ وثّق الشّعْر الجاهليّ حياة العرب قديماً، وتقاليدهم ، ومعاركهم، ووصف طبيعة حياة البيئَة الجاهليّة ، وما تحويه من جماد ، وحيوان، إضافة إلى ذكر أسماء فرسانهم، وآبار مياههم وغيرها من الأحداث ، والمعلومات في الجاهليّة ، كما اشتمل هذا الشّعْر على العديد من الشعراء ذوي النباهة ، والبلاغة اللغويّة ، وأهمّ هؤلاء الشعراء : شعراء المُعلّقات ، من أمثال: امرؤ القيس ، وعنترة العبيسيّ ، وزهير بن أبي سُلمى ، بالإضافة إلى العديد من دواوين الشعراء ، والشاعرات، ممّن وصل إلينا شعرهم كاملاً، ومن الجدير بالذكر أنّ الشّعْر الجاهليّ اعتُبر سجلاً مهمّاً لحياة العرب قبل الإسلام، كما أنّه قد مثّل مصدرًا موثوقًا للمعلومات ؛ حيث اعتمد علماء اللغة على هذا الشّعْر في وضع قواعد النحو، والتأكّد من صحّتها ، ولجأ علماء الفقه ، ومُفسِّرو القرآن الكريم إلى الشّعْر الجاهليّ ؛ لبيان معاني الكلمات ، وورودها في اللغة .

2/نشأة الشعر الجاهلي:

وقد نشأ الشُّعر الجاهليّ في بوادي نجد، والحجاز، والمناطق المُحيطة بها من شمال الجزيرة العربية، علمًا بأنّ البادية كانت تُعتبر المدرسة التي نشأ فيها الشعراء ذوو النباهة من أمثال: المهلهل، وحاتم الطائي، وطرفة بن العبد، والنابغة، والأعشى، ولم يقتصر الشعراء في الشُّعر الجاهليّ على كتابة قصيدة واحدة فقط، بل إنّ مُعظم الشعراء كتبوا أكثر من قصيدة، وعُرف كلُّ شاعر بقصائده، وتميّز بها، أمّا في ما يتعلّق برواية الشُّعر الجاهليّ فقد كانت هي الأداة التي ساهمت في نشره، وقد تخصّص في الرواية طبقة الشعراء أنفسهم والذين أتقنوا هذه الوظيفة واحترفوها؛ إذ كان الشاعر الذي يريد نظم الشُّعر، وصياغته يُعيّن شاعرًا آخر يروي عنه شعره، وينشره.

3/شعراء العصر الجاهلي:

كان للشعراء في الجاهلية مكانةً رفيعة في المجتمع، فكما كان للقبيلة قائدها كان لها شاعرها وكانت قصائد الشعراء تستعمل كوسيلة للاسترضاء والمدح، وكانت أيضًا تثير الحروب، وقد أنجبت الحياة الجاهلية بما فيها من حبّ وغزلٍ وحلٍّ وارتحال الكثير من الشعراء الكبار منهم الفرسان والصعاليك وأبناء الملوك، وحتّى العبيد، وقد كان شعراء العصر الجاهلي يتمتعون بنفَس شعري صافٍ ومنهم:

عنترة العبيسي: هو عنترة بن شدّاد بن العبيسي، أشهر الشعراء العرب الفرسان، وُلد من أبٍ عربيٍّ وأمٍّ حبشيّة، وله قصائد كثيرة في غزلٍ محبوبته عبلة، وقد كان غزله بها عفيفًا

جميلاً ، اشترك عنتره في حرب داحس والغبراء ، وقد ذاق حياة الحرمان من أبيه شداد قبل أن يعترف به ابناً وينسبه إليه.

زهير بن أبي سلمى : هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح المزني ، كان من أشهر شعراء الحكمة في الجاهلية ، وهو الشاعر ذو الخلق الحسن والسيره الطيبة ، وقد عُرف بصدقه فلم يمدح أحداً بما ليس فيه ، توفي قبيل ظهور الإسلام والبعثة النبوية، و هو من شعراء المعلقات.

طرفه بن العبد : عمرو بن العبد وطرفة هو لقب أُطلق عليه ، يعدُّ من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، عاش بداية حياته في اللهو والعبث والمجون ؛ وذلك بسبب موت أبيه فقد أساء أعمامه تربيته وسلبوا أمه حقوقها فنشأ هذه النشأة البائسة ، لم يكن له قصائد كثيرة لأنّه عاش حياة قصيرة ، وهو من شعراء المعلقات.

ليبد بن ربعة : ليبد بن ربعة العامري، من شعراء العصر الجاهلي الذين أدركوا الإسلام ترك الشعر بعد إسلامه فلم يكتب بعد ذلك إلا بيتاً واحداً، في الجاهلية مدح ملوك الغساسنة ومنهم: عمرو بن جبلة وجبلة بن الحارث، عاش حياته في الكوفة وقد عاش عمراً طويلاً وله معلقة مشهورة.

الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جندل، ولقب بالأعشى لأنّه كان ضعيف البصر، وله معلقة أيضاً ، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وكان من الشعراء الوافدين على

ملوك العرب ، والفرس، وتخلل شعره الكثير من الألفاظ الفارسية ، وقد وَفَدَ على الملوك بسبب حاجته للمال فكان يمدحهم مقابل الهدايا والأعطيات.

النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية من ذبيان، وقيل عنه النابغة لأنه كتب الشعر في سن متأخرة ، ولكنه أبدع به دفعةً واحدة ، كان من السادة في قومه ، وقد توسّط لقومه عند الغساسنة لمنع الحرب بينهم ، كانت علاقته وطيدة بالمانذرة وأولهم المنذر بن ماء السماء وعمرو بن هند، ولكن علاقته بهم انقطعت بعد ذلك ، وهو من شعراء المعلقات.

امرؤ القيس: جندح بن حُجر بن الحارث الكندي ، وكان مشهوراً باسم امرؤ القيس، يعدُّ من أبرز الشعراء في الجاهلية ، وأشهرهم في التاريخ ، لقب بألقاب منها الملك الضليل وذي القروح ، تعلّم الشعر مبكراً من خاله المهلهل ، وقيل إنّه أول من وقف على الأطلال، وأول من بكى عليها ، وأول من أدخل الشعر إلى مخادع النساء، وله معلقة مشهورة.

الحارث بن حلزة : اسمه الحارث بن حلزة بن مكروه، من عظماء قبيلة وائل، كان يفتخر بقومه بني وائل كثيراً حتى ضرب به المثل في الفخر، لم يبق من أخباره الكثير إلا تدخله للاحتكام عند عمرو بن هند من أجل حل المشكلة بين بكر وتغلب ، أنشد معلقته المشهورة للدفاع عن قومه.

عبيد بن الأبرص: عبيد بن الأبرص من قبيلة أسد، من شعراء المعلقات، عاصَرَ امرأ القيس وكان بينهما مناظرات ومناقضات شعرية ، قُتِلَ على يد المنذر بن ماء السماء، قيل أنَّه من حكماء العرب ودهاتهم، لم يُعرف يوم مولده.

عمرو بن كلثوم: عمرو بن كلثوم التغلبي، شاعر جاهليّ عريق، من شعراء المعلقات، أمُّه لى بنت المهلهل، كان كرياً عزيز النفس شجاعاً، وهو من قتل عمرو بن الهند ملك المناذرة.

4/خصائص الشعر الجاهلي الموضوعية:

يتميز الشعر في العصر الجاهليّ بالخصائص الموضوعية الآتية:

- **الاستطراد:** يوصف الشعر الجاهليّ على أنه مستطرد؛ وذلك بسبب تعدد موضوعاته فلا يقف على موضوع واحد، وتبدو القصيدة وكأنّها مجموعة من الخواطر التي ترتبط مع بعضها البعض بوحدة الوزن والقافية.
- افتتاح القصيدة الجاهلية بالمقدمة الطللية ، وذلك من خلال الوقوف على الديار والتغني بها.
- توظيف الحكمة بشكل كبير في القصائد الجاهلية ، بحيث تُعبّر الحكمة عن تجربة الشاعر وخبراته في الحياة.

5/خصائص الشعر الجاهليّ المعنوية:

يختص الشعر في العصر الجاهلي بمجموعة من الخصائص المعنويّة، ولعل أهمها ما يلي:

- تصوير الواقع على حقيقته، وعدم الجنوح إلى المبالغة في التصوير. جنوح معظم شعراء الجاهليّة إلى الاشتراك في المعاني، والتي يُصورون فيها واقعهم الحسيّ.
- الإحساس جمال البيئة والطبيعة ، وذلك من خلال تصوير المرأة ومزج جمالها بجمال الطبيعة.

❖ سمات الشعر الجاهليّ الفنيّة:

يتميز الشعر الجاهليّ بمجموعة من الخصائص الفنيّة، ومنا ما يلي:

- غلبة التشبيه على القصيدة الجاهلية.
- توظيف عدد من المحسنات اللفظية والمعنوية. تصوير الطبيعة وعناصرها، وتمثيل الحياة فيها.
- توظيف الاستعارة. توظيف الموسيقى الهادئة في بعض الأحيان، والصاخبة في أحيان أخرى، وذلك بناء على موضوعات القصائد.

6/سمات الشعر الجاهلي من الناحية الشكلية:

• المحافظة على التقاليد الشعريّة: حيث التزم الشعراء عند نَظْمهم للشّعر بمجموعة تقاليد مُحدّدة في مختلف قصائدهم ، ومن هذه التقاليد: الوقوف على الأطلال ، والبكاء وخطاب الآثار، أو الأصدقاء، ثم وصف الشاعر لحاله؛ بسبب رحيل الحبيبة، ووصف جمالها، وبعد ذلك، ينتقل إلى غرضه الرئيسيّ في القصيدة، ويتميّز الشاعر الماهر عن غيره من الشعراء في حُسن الرّبط بين هذه الموضوعات، والانتقال بسلاسة فيما بينها.

• العناية بالألفاظ والعبارات: حيث كان الشعراء (خاصّة أصحاب الحوليّات) يمنحون اهتماماً كبيراً للألفاظ الشعريّة في شعرهم، ويتحرّونها بشكل جيّد بحيث تُؤدّي معناها وغرضها، وتؤثّر بمحتواها في السامعين. والقارئ في الشّعر الجاهليّ قد يجد بعض الألفاظ الغريبة، وغير المعروفة في وقتنا الحالي، إلّا أنّ ذلك لا يعني أنّ الشعراء اختاروا في أشعارهم ألفاظاً غير موجودة ، أو غريبة، بل يعني أنّهم كانوا يختارون الألفاظ المعروفة، والمُنْتَشِرة في مجتمعاتهم آنذاك، علماً بأنّ هذه الألفاظ قد ظهرت غريبة لنا؛ بسبب الفوارق الزمنيّة، وعدم استخدامها لها، إضافة إلى أنّه كان يجب على الشاعر أن يُحافظ على قافية الأبيات.

• الوحدة: حيث تميّز الشّعر الجاهليّ بتحقيق الجرس الموسيقيّ في كافّة مقاطع القصيدة ، ممّا يدلّ على المقدرة اللغويّة العالية لشعراء ذلك الزمن.

المعلقات : مضامينها وأساليبها

1- تعريف المعلقات:

تعرف المعلقات على أنها مجموعة من القصائد المنظومة في العصر الجاهلي و لقد عدّت من أجود ما قالته العرب ، لذلك احتلت مكانة كبيرة في نفوسهم و أذهانهم و أطلقوا عليها عدة تسميات منها " المعلقات السبع و المذهبات و السموط" ، أما بالنسبة لعددتها فهي سبع معلقات على الأرجح ، و هناك من الباحثين من يضيف ثلاثة قصائد أخرى ، و أصحاب المعلقات هم : امرؤ القيس ، و زهير بن أبي سلمى و عنتره بن شداد ، و ليبيد بن ربيعة ، و طرفة بن العبد ، و عمرو بن كلثوم و الحارث بن حلزة ، و أما الثلاثة الآخرون فهم : النابغة الذبياني و الأعشى و عبيدة بن الأبرص.¹

و اختلف الباحثون حول حقيقة تسمية المعلقات بهذا الاسم فانقسموا الى اتجاهين:

• **الاتجاه الأول:** يؤكد أصحابه على أن هذه القصائد الطوال سميت بالمعلقات لأنه

تمّ تعليقها فعلا على أستار الكعبة، و يستندون في رأيهم هذا بعبارة العرب تعليق

الأشياء الهامة على الكعبة، و من أشهر مؤيدي هذا الاتجاه ابن عبد ربه في

كتابه " العقد الفريد" و ابن خلدون في مقدمته، و البغدادي في "خزانة الأدب".²

¹ شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، ص230.

² علي العبدي : في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991، ص155.

• **الاتجاه الثاني:** أصحاب هذا الاتجاه أنكروا خبر تعليق هذه القصائد الطوال و اعتبروه غير صحيح ، و يرجع سبب تسميتها بالمعلقات لعلوقها في أذهان صغارهم قبل كبارهم ، ولشدة عنايتهم بها، فقد كانت مشهورة و تجري بكثرة على أفواه الرواة و أسماع الناس، و من أنصار هذا الاتجاه، أبو جعفر النحاس و نقل عنه أبو البركات عبد الرحمان بن محمد بن الأنباري، و من المحدثين مصطفى صادق الرافعي و أحمد الحوفي.¹

1/ أشهر المعلقات :

معلقة امرئ القيس: ينتسب امرؤ القيس إلى قبيلة كندة وهي قبيلة يمنية تنزل غربي حضرموت ، و يعرف امرؤ القيس بأسماء متعددة فيسمى حندجا و عديا، ومليكة و يلقب كذلك بذي القروح، والملك الضليل وأشهر ألقابه امرؤ القيس.²

تتكون معلقة امرئ القيس من ثمانية وسبعين بيتا شعريا، وتضم عدة موضوعات سنحاول تلخيصها فيما يلي:

أ- الوقوف على الأطلال والبكاء على الأحبة والأصحاب في مطلع معلقته :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل.

¹ علي العبدي : المرجع السابق ، ص156.

² شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، ص236.

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ب- مخاطبة صاحبه مستعيدا نكرياته معها فيقول¹ :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي

وإن كنت قد ساءتكم مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

ج- وصف الليل وهمومه فيقول² :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

د- وصف رحلة الصيد فيقول³ :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من علي

¹ امرؤ القيس: الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط4، 1984، ص 8.

² المرجع نفسه، ص18.

³ المرجع نفسه، ص19.

شعر الصعاليك

1- التعريف بالصعلكة:

أ - لغة: الصعلوك: هو "الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري ولا اعتماد"¹.

ب اصطلاحاً: الصعاليك: هم قوم خرجوا على طاعة بيوتهم وعشائرتهم وقبائلهم لأسباب عديدة منها: عدم رضوخهم لقوانين قبائلهم التي رأوا أنها غير عادلة فعاشوا عيشة الذوبان معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم وحياة غيرهم من الفقراء من خلال السلب والنهب والإغارة على القوافل².

2- أسباب نشأة الصعلكة:

أ- عدم وجود دولة جامعة والمقصود بها عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة، ويشعر من خلالها أفرادها بالأمن والأمان وبأن هناك قوانين خاضعون لها خضوعاً يؤثر على سلوكهم فهذه القوة المؤثرة الجامعة كانت مفقودة في العصر الجاهلي فلم تكن هناك دولة جامعة ولا قانون جامع ولا دين جامع.

¹ يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، دت، ط3، ص21.

² جواد العلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السافي، ط4، 2001، ج18، ص167.

ب- ظهور زعامات غير متزنة، تمثلت هذه الزعامات في رؤساء القبائل والعشائر وهذه الزعامات لم يكن لها قانون يحكمها إنما كانت بحسب صفات معينة كان لزاما على الرؤساء التحلي بها للوصول إلى الرئاسة .

ج- عدم التوازن بين الفقير والغني: لا تكاد تجد شاعرا من شعراء الصعاليك لم يتحدث عن الفقر في صورة من صورته المختلفة، و"صورة الفقر عند الصعاليك لم تكن تمثل فقرا عاديا، وإنما فقرا قاسيا، وكانت آثاره من الجوع والهزال والحرمان أشد إمعانا في القوة".

د- طبيعة الأرض والحياة: تميزت شبه الجزيرة العربية بطابع الجبلي الصحراوي فهي بطبيعتها تخلق حصونا منيعة للصعاليك فبرغم نشأتهم في أماكن قريبة من الخصب، إلا أنهم فضلوا هذه الطبيعة القاسية من جبال وقفار وأماكن يخشى غيرهم ارتيادها، فكانت هذه الأراضي الصحراوية القاسية سببا في نشأة ظاهرة الصلابة.¹

2- صفات الصعاليك :

¹ عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص63/64.

لقد عرف الصعاليك بالجري السريع، والهجوم الخاطف والعراك العنيف، وانتهاز الفرص، وسرعة التصرف ولكنهم كانوا يتمسكون بكثير من صفات البطولة والشهامة¹.
ويصنف الصعاليك إلى ثلاث مجموعات:

أ- **الخلعاء والشذاذ** : هي مجموعة خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم ونذكر منهم حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية .

ب - **أبناء الحبشيات السود**: هم مجموعة نبذهم آبائهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم من الإماء. ونذكر من بينهم: السليك بن السلعة، والشنفري، وتأبط شرا.

ج- مجموعة ثالثة احترفت الصلعة رغم أنها لم تكن لا من الخلعاء ولا من أبناء الحبشيات السود ونذكر منهم: عروة بن الورد.²

3- أشعارهم:

• **لامية الشنفري** : الشنفري من عشيرة أوس الأزديّة من اليمن وهو قحطاني النسب،
واسمه يدل على غلظ شفتاه، وقد عرف بالعدو حتى ضرب به المثل فيقال " أعدى
من الشنفري".

¹ علي الحبيدي: في تاريخ الادب الجاهلي، ص139.

² شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، ص375.

ومن أشهر قصائده لاميته التي صور فيها حياة الصعاليك في العصر الجاهلي ويقول
فيها:¹

- 1- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ فَأِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لِأَمْنِيْلُ
- 2- فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ وَ شُدَّتْ لِعِيَاتِ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
- 3- وَ فِي الْأَرْضِ مَنَاءٌ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَدَى وَ فِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلِي مُنْعَزَلُ
- 4- لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى امْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
- 5- وَ لِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ : سَيِّدُ عَمَلَسَ وَ أَرْقَطُ زُهْلُونَ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ
- 6- هُمْ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَ لَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَلُ
- 7- وَ كُلُّ أَبِي بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
- 8- وَ إِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بَأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَحْشَعُ الْقَوْمَ أَعْجَلُ
- 9- وَ مَا ذَلِكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنِ تَقْضِي عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَقْضِي
- 10- وَ إِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحُسْنِي وَلَا فِي قُرْبِهِ مُنْعَلُ
- 11- ثَلَاثَةٌ أَصْحَابٍ : فَوَادٌ مُشَيِّعٌ وَأَبِيضٌ إِصْلِيَّتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

¹ يوسف خليف : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 331.

الأغراض القديمة المشهورة وأبرز معانيها

1- **الفخر:** الفخرُ هو غَرَضٌ مِنْ أْبْرَزِ أَعْرَاضِ الشِّعْرِ فِي العَصْرِ الجَاهِلِيِّ، يَنْطَوِي عَلَى

الرَّهْوِ وَالاعْتِرَازِ بِالنَّفْسِ وَالْقَبِيلَةِ، وَالتَّعْنِي بِالْأَمْجَادِ، وَيَكُونُ عَادَةً بِادِّعَاءِ أَشْيَاءَ لِلنَّفْسِ أَوْ

لِلْقَبِيلَةِ لَيْسَتْ فِي مُتَأَوَّلِ الْجَمِيعِ¹.

وَقَدْ كَانَ لَطَبِيعَةَ الْمُجْتَمَعِ الْقَبَلِيِّ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي إِذْكَاءِ ذَلِكَ الْعَرَضِ الشِّعْرِيِّ وَتَقْوِيَتِهِ؛ إِذْ كَانَ

الْمُجْتَمَعُ الْبَدَوِيُّ يُقَدِّرُ الْحَمِيَّةَ وَالْأَنْفَةَ وَالْعِرَّةَ وَالْقُوَّةَ الْجَسَدِيَّةَ وَالصَّبْرَ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَيَتَعَنَّوْنَ

بِالشَّجَاعَةِ وَالتَّهَوُّرِ وَالْإِنْدِفَاعِ؛ وَلِهَذَا كَانَ يَطْغَى ذَلِكَ الْجَانِبُ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْرَاضِ الْأُخْرَى

كَالْمَدْحِ وَالغَزْلِ وَالرِّثَاءِ وَغَيْرِهَا، بِدَلِيلِ أَنَّ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِالْحَمَاسَةِ إِنَّمَا أَخَذَتْ هَذَا

الاسْمَ لِعَلْبَةِ الْحَمَاسَةِ عَلَى سَائِرِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَبْوَابِ، وَالْحَمَاسَةُ مَا هِيَ إِلَّا لَوْنٌ مِنَ الْفَخْرِ .

وَقَدْ اعْتَبَرَ ابْنُ رَشِيْقِ الْفَخْرَ نَوْعًا مِنَ الْمَدْحِ؛ لِأَنَّ الْمُفْتَخِرَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ أَوْ قَوْمَهُ².

كَمَا أَنَّ الْفَخْرَ أَيْضًا قَدْ يَكُونُ تَعْرِيفًا لِلِهْجَاءِ، إِذَا افْتَخَرَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ بِذِكْرِ صِفَاتٍ وَمَآثِرٍ فِيهِ

وَحَلًا مِنْهَا حَصْمُهُ، أَوْ تَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَنِ نَقَائِصٍ وَعُيُوبٍ عِنْدَ حَصْمِهِ .

1- ينظر: ((في تاريخ الشعر الجاهلي)) لعلي الجندي (ص: 364)، ((الأدب الجاهلي؛ قضاياها أغراضه أعلامه فنونه)) لزكي

طلبيات وعرقات الأشقر ص: 135

2. ينظر: ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق 2/ 143

وَالْفَخْرُ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا : فَخْرُ شَخْصِيٍّ؛ حَيْثُ يَتَغَنَّى الشَّاعِرُ بِأَمْجَادِهِ
وَأَخْلَاقِهِ وَبُطُولَاتِهِ وَمَآثِرِهِ وَمَحَامِدِهِ وَمِنْ أَبْرَزِ شُعْرَاءِ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الشِّعْرِ عَنْتَرَةُ بَنِي شَدَّادٍ، فَهُوَ
الْقَائِلُ¹:

هَلَّا سَأَلْتِ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنَّ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

لَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي بِي صُحْبَتِي يَمَلَأُ يَدَيْكَ تَعَفُّفِي وَتَكْرَمِي

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَعْيَ وَأَعِفُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

إِذْ لَا أَزَالُ عَلَى رِحَالِهِ سَابِحٍ نَهْدٍ ، تَعَاوَرُهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمٍ

وَمُدَجِّجِ كَرِهِ الْكُمَاةُ نَزَالَهُ لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ

جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُنْتَقَفِ صَدْقِ الْكُعُوبِ مُقَوِّمِ

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ

وَمِنْهُ كَذَلِكَ طَرْفَةُ بَنِي الْعَبْدِ؛ حَيْثُ يَقُولُ² :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

فَإِنْ تَبَغَّنِي فِي حَلْفَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَقْتَنِيصْنِي فِي الْحَوَانِيْتِ تَصْطَدِ

¹ ديوان عنتره ص: 207.

² . (ديوان طرفه بن العبد) (ص: 24)

متى تَأْتِي أَصْبَحَكَ كَأَسَا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنَى فَاغْنِ وَأَزِدِ

وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَيُّ الْجَمِيعُ تُلَاقِي إِلَى ذِرْوَةِ النَّبِيِّ الرَّفِيعِ الْمُصَمِّدِ

وَأَمَّا الْآخِرُ: فَفَخْرٌ قَبْلِي، وَهُوَ أَنْ يَفْخَرَ الشَّاعِرُ بِقَبِيلَتِهِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا، وَيُعَدِّدَ مَآثِرَهَا وَيَذْكَرَ

مَكَارِمَهَا وَأَيَّامَهَا وَخُرُوبَهَا وَوَقَائِعَهَا. وَمِنْ أَبْرَزِ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الشُّعْرِ عَمْرُو بْنُ

كُلْثُومٍ فِي مُعَلِّقَتِهِ ، فَيَقُولُ عَنْ قَوْمِهِ بَنِي تَغْلِبَ¹:

وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أَبِينَا أَنْ نُفِرَّ الْخَسْفَ فِينَا

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا وَنَبِطُشُ حِينَ نَبِطُشُ قَادِرِينَا

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا رَضِيعٌ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا كَذَاكَ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا

أَلَا لَا يَحْسَبُ الْأَعْدَاءُ أَنَا تَضَعُضَعْنَا وَأَنَا قَدْ فَنِينَا

تَرَانًا، بَارِزِينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينَا

كَأَنَا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ وَلَدْنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَا

أَلَا لَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

¹ ديوان عمرو بن كلثوم ((ص: 75)). ((

ومنه قولُ ودّاكِ بنِ ثُميلِ المازنيّ إذ يفخرُ بقومه أَمامَ أعدائِهِم من بني شيبانَ :

رُوِيَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعَيْدِكُمْ تُلاقوا غداً خَيْلي على سَفوانِ

تُلاقوا جِيادًا لا تَحِيدُ عَنِ الوَعْيِ إذا ما غَدَتُ في المأزِقِ المُتَدانِي

عليها الكُماةُ العُرُ من آلِ مازِنِ لُيوثُ طِعانٍ عِنْدَ كَلِّ طِعانِ

تُلاقوهُمُ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمُ على ما جَنَّتْ فيهِم يَدُ الحَدَثانِ

مَقادِيمُ وَصالونَ في الرُّوعِ خَطوهُمُ بِكَلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمانِ

إذا اسْتُجِدُوا لِمَ يَسْأَلُوا مَن دَعاهُمُ لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكانِ

وقد كانَ إكبارُ الشُّعراءِ وافتخارُهُم بِقَبيلَتِهِم لا يُوصَفُ، بل إنَّ الواحدَ مِنْهُم إن رأى قَوْمَهُ على ضلالةٍ ضلَّ مَعَهُم، وهذا دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ، كانَ مَعَ قَوْمِهِ في غارةٍ على غَطَفانَ، فَعَنِمُوا ورجَعُوا، فأرادَ قَوْمُهُ أن يَفْسِمُوا العَنائِمَ في طَرِيقِهِم وأن يَنحَرُوا -على عادَتِهِم- ناقةً فَيُطِعِمُوا مِنْها أصحابَهُم، فأبى عليهم وقالَ: إنَّ غَطَفانَ قد تُدرِكُنَا، فأبوا حينئذٍ، فنزلَ عن رأيه وأخذَ برأيِهِم، وبالفعلِ أدركتَهُم غَطَفانُ واستردَّتْ مِنْهُم ما غَنِمُوهُ، فأنشأ يقولُ¹ :

أمرتُهُمُ أمرِي بِمُنْعَرِجِ اللّوى فلمَ يَسْتَبِينُوا الرُّشدَ إلا ضحى الغَدِ

فلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمُ وَقَدْ أرى غَوائِثَهُمُ وَأَنَّنِي غيرُ مُهتَدِ

¹ يُنظر: ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (33/6)، ((ديوان المعاني)) لأبي هلال العسكري (1/122).

وما أنا إلا من غزيرة إن عوت
عوت وإن ترشد غزيرة أرشد

❖ خصائص الفخر:

يتميز الفخر بمجموعة من الخصائص التي تميزه من سائر الأغراض، كما تميزه من الفخر في العصور التالية، وهي:

- لم يكن الفخر غالباً غرضاً منفرداً في القصيدة، بل اشتملت القصائد على أشياء أخرى مع الفخر، باستثناء معلقة عمرو بن كلثوم التي إن حذفنا منها المقدمة الطللية وجدنا قرابة ثمانين بيتاً في الفخر القبلي.

- خروج الفخر عن دائرة المعقول والمنطق، وانطلاقه إلى آفاق المبالغات الشعرية المقبولة يتجلى ذلك في قول عمرو بن كلثوم مثلاً:

إذا بلغ الفطام لنا رضيع
تخر له الجبابر ساجدين

ملأنا البر حتى ضاق عنا
كذاك البحر نملؤه سفينا

- انطواء الفخر على مجموعة كبيرة من الأحداث، فيصور لنا الشاعر في فخره بعض أيام العرب التي عاينها وافتخر بانتصاره فيها، ويذكر أسماء بعض الأبطال وسيرتهم، فيعتبر الفخر بهذا مصدرًا من مصادر التاريخ القديم.

2- الوصف:

هو أعظمُ أغراضِ الشِّعْرِ وأكثرُهُ، وكما قال ابنُ رَشِيْقٍ: (الشِّعْرُ إِلَّا أَقَلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى بَابِ الوَصْفِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى حَضْرِهِ وَاسْتِقْصَائِهِ)¹ ؛ فَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ مُسْتَحْدِمَةٌ لَهُ؛ فَإِنَّ الشَّاعِرَ إِذَا أَرَادَ هِجَاءً أَوْ مَدْحًا أَوْ رِثَاءً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، اسْتَعَانَ بِالْوَصْفِ وَالتَّشْبِيهِ لِيَخْلَعَ عَلَى أَفْكَارِهِ المُجَرَّدَةِ أَثْوَابَ الحِسِّ، فَإِذَا ذَكَرَ الكَرَمَ أَخَذَ مِنَ السَّيْلِ تَدْفُقهَ، وَمِنَ السَّحَابِ وَدَقَّهَ وَإِذَا ذَكَرَ الشَّجَاعَةَ اسْتَعَارَ صَوْلَةَ اللَّيْثِ وَانْقِضَاضَ النَّسْرِ .

وَتَجَلَّى قِيَمَةُ الوَصْفِ فِي الكَشْفِ عَنِ مَظَاهِرِ الحَيَاةِ الَّتِي كَانَ يَعْيشُهَا الجَاهِلِيُّونَ، مِنْ وَصْفِ الطَّبِيعَةِ وَالأَشْخَاصِ، وَالعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ.

وَالْوَصْفُ جُزْءٌ طَبِيعِيٌّ مِنْ فِطْرَةِ الإِنْسَانِ وَمَنْطِقِهِ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ المَوْجُودَاتِ وَإِظْهَارِ الخَفِيَّاتِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِتَمَثِيلِ الحَقِيقَةِ وَتَأْدِيَتِهَا فِي التَّصَوُّرِ عَنِ طَرِيقِ السَّمْعِ أَوْ البَصَرِ .

وَأَحْسَنُ الوَصْفِ مَا نُعِتَ بِهِ الشَّيْءُ حَتَّى كَانَ السَّامِعُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بَعَيْنِهِ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ، فَقَالَ: ((لَا تُبَاشِرِ المَرْأَةَ المَرْأَةَ، فَتَنْتَعَثَهَا لِرُؤُوجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا))² ؛ وَإِذَا اسْتَحْسَنُوا وَصَفَ النَّابِغَةَ الجَعْدِيَّ لِدُنْبٍ افْتَرَسَ صَغِيرَ بَقْرَةٍ وَحَشِيَّةٍ، فَقَالَ:

فَبَاتَ يُذَكِّبُهُ بَغِيرَ حَدِيدَةٍ أَخُو قَنْصٍ يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُفْطِرًا

¹العمدة في محاسن الشعر وأدابه)) لابن رشيق (2/ 294). ((

²أخرجه البخاري (5240) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إذا ما رأى مِنْهُ كُرَاعًا تَحَرَّكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَفَرَا

فهذا وَصْفٌ لِأَفْتِرَاسِ الذَّنْبِ، دُونَ أَنْ يَأْتِيَ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَجَازِ، فَلَا اسْتِعَانٌ بِتَشْبِيهِ أَوْ اسْتِعَارَةٍ أَوْ كِنَايَةٍ، بَلْ وَصَفٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَمَثَلُ الْمُوصُوفِ فِي قَلْبِ سَامِعِهِ¹ .

وَقَدْ تَفَنَّنَ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي وَصْفِ بِيئَتِهِمْ وَمَا فِيهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَجَمَادٍ، وَبَلَّغُوا فِي ذَلِكَ غَايَةَ الْإِتْقَانِ وَالتَّصْوِيرِ، فَأَدَّهَشُوا السَّامِعِينَ؛ فَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا سَمِعَ وَصْفَ الشَّمَّاحِ بْنِ ضِرَارٍ لِلْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ -كَانَ الشَّمَّاحُ أَوْصَفَ النَّاسَ لَهَا- قَالَ الْوَلِيدُ: مَا أَوْصَفَهُ لَهَا، إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنَّ أَحَدَ أَبْوِيهِ كَانَ حَمَارًا² .

عَلَى أَنَّ الشُّعْرَاءَ وَإِنْ كَانُوا يُجِيدُونَ أَكْثَرَ الْأَوْصَافِ فَإِنَّهُمْ اسْتَهَرُوا بِأَنْوَاعٍ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْإِجَادَةُ فِيهَا؛ فَاسْتَهَرَ مِنْ نِعَاتِ الْخَيْلِ: أَمْرُؤُ الْقَيْسِ، وَأَبُو دُوَادٍ، وَطُقَيْلُ الْعَنْوِيِّ، وَالتَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ، وَمِنْ نِعَاتِ الْإِبِلِ: طَرْفَةُ، وَأَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَالشَّمَّاحُ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ الْقَدَمَاءِ يُجِيدُونَ وَصْفَهَا؛ لِأَنَّهَا مَرَاقِبُهُمْ، وَكَانَ عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَالرَّاعِي النُّمَيْرِيُّ أَوْصَفَ النَّاسَ لَهَا؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ رَاعِيًا، وَأَمَّا الْحُمْرُ فَمِنْ أَوْصَافِ الْأَعْشَى وَالْأَخْطَلِ وَأَبِي نُوَّاسٍ، وَاسْتَهَرَ أَبُو نُوَّاسٍ وَابْنُ الْمُعْتَزِّ أَيْضًا بِصِفَةِ الصَّيْدِ وَالطَّرْدِ، وَكَانَ ذُو الرُّمَّةِ أَوْصَفَ النَّاسَ لِرَمْلِ وَهَاجِرَةٍ، وَقَلَاةٍ وَمَاءٍ وَقِرَادٍ وَحِيَّةٍ

¹ يُنظَرُ: ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق (2/ 294).

² يُنظَرُ: ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني (9/ 111)، ((خزانة الأدب)) لعبد القادر البغدادي (2/ 197).

وقد تَفَنَّنَ جُلُّ شُعْرَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فِي الوَصْفِ وَبَلَّغُوا فِيهِ سَامِقَ العُلَا، فَنَجِدُ امْرَأَ القَيْسِ يَصِفُ اللَّيْلَ
وَيَتَقَنَّ فِي تَصْوِيرِهِ وَتَصْوِيرِ العَنَاءِ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهِ بِقَوْلِهِ¹:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلِيٍّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلْكِ

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بَصْبُوحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلِ

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكَلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شَدَّتْ بِيَدْبُلِ

وَمَعْنَى تَمَطَّى: تَمَدَّدَ، وَأَرْدَفَ: أَتْبَعَ، وَالْأَعْجَازُ: الْمُؤَخَّرَاتُ، وَنَاءً: بَعْدَ، وَالْكَكْلُ: الصَّدْرُ. وَمَعْنَى
الْبَيْتِ: فَقُلْتُ لِلَّيْلِ لَمَّا مَدَّ صُلْبَهُ، يَعْنِي لَمَّا أَفْرَطَ طَوْلَهُ، وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا، يَعْنِي: أَزْدَادَتْ مَآخِرُهُ
امْتِدَادًا وَتَطَاوُلًا، وَنَاءً بِكُلْكِ، يَعْنِي: أَبْعَدَ صَدْرَهُ.

وَمَعْنَى مُغَارِ الفَتْلِ: أَي: أَحْكَمَ فَتْلَهُ وَرَبَطَهُ، وَيَدْبُلُ: اسْمُ جَبَلٍ. يَقُولُ: إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ لَطَوِيلُهُ كَأَنَّ
النُّجُومَ قَدْ وُثِّقَتْ وَرُبِطَتْ رَبْطًا مُحْكَمًا بِالجَبَلِ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الخَلَاصَ مِنْهُ وَالرَّحِيلَ عَنْهُ.

وَمِنْ أَبْرَزِ الأَوْصَافِ أَيْضًا وَصَفُ عَنْتَرَةَ لِرَوْضَةٍ مِنَ الرِّيَاضِ؛ حَيْثُ شَبَّهَ رَائِحَةَ ثَغْرِ حَبِيبِيَّتِهِ
بِرَائِحَةِ حَدِيقَةِ عَنَاءٍ، فَقَالَ²:

أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضْمَنَ نَبْتَهَا غَيْثٌ قَلِيلُ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

¹ أبيات من بحر الطويل لامرئ القيس، وهي من معلقته المشهورة. يُنظر: ((ديوان امرئ القيس)) (ص: 48).

² أبيات من بحر الكامل لعنترة بن شداد العبسي، وهي من معلقته المشهورة. يُنظر: ((ديوان عنترة)) (ص: 196).

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً فَتَرَكَنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدَّرْهِمِ

سَحًا وَتَسْكَابًا فَكُلُّ عَشِيَّةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ

وَخَلَا الدُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِيَارِحٍ غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

فَالرَّوْضَةُ الْأُنْفُ: الَّتِي لَمْ تُوْطَأْ، وَالِدِّمْنُ: الْعَيْثُ، وَالْمَعْلَمُ: الْمَشْهُورُ، وَمَعْنَى ثَرَّةً: كَثِيرَةٌ، وَالْقَرَارَةُ:

الْمَوْضِعُ الطَّمِينُ مِنَ الْأَرْضِ يَجْتَمِعُ فِيهِ السَّيْلُ، وَالسَّحُّ وَالتَّسْكَابُ بِمَعْنَى الصَّبِّ، وَيَتَصَرَّمُ:

يَنْقَطِعُ، وَمَعْنَى غَرِدٍ: طَرِبَ، وَالْهَزَجُ: السَّرِيعُ الصَّوْتِ، وَالْأَجْدَمُ: الْمَقْطُوعُ الْيَدِ.

وَمِنْ ذَلِكَ وَصْفُ طَرْفَةِ بِنِ الْعَبْدِ نَاقَتِهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّاقَةِ¹:

وَإِنِّي لِأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ اخْتِضَارِهِ بَعُوجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي

أَمْوِنٍ كَأَلْوَاكِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ

جَمَالِيَّةٍ وَجَنَاءِ تَرْدِي كَأَنَّهُا سَفَنَجَةٌ تَبْرِي لِأَزْعَرَ أَرْبِدٍ

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَّبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبِّدٍ

تَرَبَّعَتِ الثَّقَيْنِ فِي الشُّؤْلِ تَرْتَعِي حِدَائِقَ مَوْلِي الْأَسْرَةِ أُعْيِدِ

تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ الْمُهَيْبِ وَتَنْقِي بِنِي خُصَلِ رَوْعَاتِ أَكْلَفِ مُلْبِدِ

¹ لينظر: ((ديوان طرفة ابن العبد)) (ص: 27).

كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنَفَا حِفَافِيهِ شَكَا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدِ

فَطَوْرًا بِهِ خَلَفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً عَلَى حَشْفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدِّدِ

لَهَا فَخِذَانِ أَكْمَلَ النَّخْضُ فِيهِمَا كَأَنَّهَمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدِ

وَطِي مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ وَأَجْرِنَةٌ لَزَّتْ بِدَائِي مُنْضَدِ

فالاحتضار: الحضور، والعوجاء: الناقة النشيطة التي لا تستقر في سيرها، والمرقال: التي تسيّر سيرًا شديدًا، والأمون التي يطمئن الراكب إليها، والإران: التابوت الكبير، ونصاتها: زجرتها، واللأجب: الطريق السهل، والبرجد: الثوب المخطط، والجمالية: الناقة التي تشبه الجمال في قوتها، والوجناء: الناقة الكثيرة اللحم، تردي: تعدو، السفنجة: النعام، تبرى: تظهر، الأزرع: الخفيف الشعر، الأربد: المغبر اللون كلون الرماد، العناق: مفردتها العتيق وهو الكريم، الناجيات: مفردتها الناجية، وهي التي تسيّر سيرًا سريعًا، الوظيف: العظم ما بين الرسخ إلى الركبة في الرجل، أو ما بين الرسخ إلى المرفق في اليد، المور: الطريق، المعبد: السهل أثناء السير، تربعت: أقامت وحلت في المكان، الققان: موضع، الشول: مكان الرعي المرتفع، المولي: العشب الذي أصابه الولي، وهو المطر، وهو يأتي بعد الوسمي، الأسرة: مفردتها السر، وهو الخير والفضل، الأغيذ: الناعم، تريع: تعود، المهيب: الراعي، ذو الخصل: الفحل من الإبل، الروعات: مفردتها الروعة، وهي الخشية والخوف، الأكلف: الفحل الذي يميل لونه إلى السواد، الملبد: الذي تلبد وبره من كثرة الوسخ، المضرحي: السر الكبير الأبيض، تكنفا: أقاما، الحفافي: الجوانب، العسيب: عظم الذنب، المسرد: الإشفى، أو آلة حادة تستعمل للغرز، الهاء

في "به" تعود للعسيب أو الذنب، الزميل: الراكب على الناقة خلف الراكب الأصلي، الحشف: مفردُها الحشفة، وهو الضرع الذي جف لبنه، الشن: القرية البالية، الداوي: الذابل، المجدد: الذي انقطع لبنه، والمعنى: أن هذه الناقة تضربُ بذيها يميناً ويسرةً، فتصيبُ مرّةً الراكب على ظهرها خلف الراكب الأول، ومرّةً تصيبُ أخلافها التي جف الحليب منها، النحص: اللحم، الباب المنيف: الباب العائد للقصرِ العالي، الممرّد: الأملس والمعنى: أن اللحم قد غطى فخذي هذه الناقة حتى أصبعا كباب قصرٍ عالٍ عريضٍ وأملس المحال: مفردُها المحالة، وهي فقرة الظهر، الحني: الواحدة حنيّة، وهي العصا، الخلوف: مفردُها الخلف، وهو الصلغ، الأجرنة: مفردُها الجران، وهو باطن العنق، لُزت: ضمت الدأي: مفردُها الدأية، وهي حرزة الظهر والعنق، المنضد: الموضوعُ بعضه فوق بعضٍ وهو ما زال يصف فقار ظهر الناقة.

❖ خصائص الوصف:

يتميز الوصف الجاهلي بعدة خصائص تميزه، ومنها:

- أنه لم يكن غرضاً متفرداً، بمعنى أنه لم توجد قصيدة تفرد فيها الوصف وحده، وإنما يأتي الوصف غرضاً مشتركاً، فيكون الوصف مشتركاً مع الغزل أو المدح أو غير ذلك.
- غلبة الطابع الحسي على الصور؛ بحيث تغطي العين على غيرها من الحواس في التشبيه والوصف، فلا يوصف إلا بشيء مرئيٍّ مُشاهدٍ، كما تتسم أيضاً بافتراب المشبه من المشبه به، فالناقة تُشبه بالسفينة، وعين المحبوبة بعين المها، وقوامها بالرُمح.

- تَجْسِيدُ الْمَعْنَى أَوْ تَجْسِيمُهُ؛ فَالْقِيَمَةُ مِنَ التَّشْبِيهِ هِيَ تَحْوِيلُ الْمَعْنَوِيِّ إِلَى مَادِيٍّ لَهُ رُوحٌ يَتَحَرَّكُ وَيَرَى وَيَنْظُرُ، يَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي تَصْوِيرِ زُهَيْرٍ لِلْمَوْتِ بِالنَّاقَةِ الْعَمِيَاءِ؛ حَيْثُ قَالَ:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا حَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ ثَمَّتُهُ وَمَنْ تُخْطِيُ يُعَمَّرُ فِيهِرَمِ

- الاستطراد: وهو الانتقال من وصف إلى آخر، وقد يعود إلى الأول، كما صنع لبيد في مُعَلِّقَتِهِ ؛ حَيْثُ انْتَقَلَ مِنْ وَصْفِ النَّاقَةِ إِلَى وَصْفِ الْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ، فَوَصَفَهُ فِي عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى فَاسْتَكْمَلَ وَصْفَ النَّاقَةِ مُجَدِّدًا.

- الواقعية: وهي أن يكون وصف الشيء مُعْتَمِدًا عَلَى الْوَاقِعِ؛ فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا جَاءَ وَصْفُهُ بِصُورَةٍ جَافِيَةٍ، فَلَمْ يَتَحَرَّجْ مِنْ أَنْ يَصِفَ وَجْهَ أَصْحَابِهِ بِوَجْهِ الدِّئَابِ¹.

3- المدح:

اعتاد العرب منذ قديم أن يُنَوِّهوا بالأشراف والنُّبَهَاءِ وَذَوِي الْأَخْلَاقِ وَالْمَكَارِمِ فِي أَقْوَامِهِمْ ، يَذْكُرُونَ خِصَالَهُمِ النَّبِيلَةَ مِنَ الْجُودِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْحِلْمِ وَالْوَفَاءِ .
وقد كانَ المَدِيحُ أَوَّلَ الأَمْرِ مَدِيحًا صَادِقًا، إِذْ لَمْ يَكُنِ الشُّعْرَاءُ يَرْجُونَ بِشُعْرِهِمْ عَطَاءً أَوْ نَقْرِيًّا ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَمْدَحُونَ الرَّجُلَ بِمَا فِيهِ؛ وَلِذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِابْنِ عَبَّاسٍ: (أَنْشِدْنِي

¹ يُنظَرُ: ((الأدب الجاهلي؛ قضاياه أغراضه أعلامه فنونه)) لزكي طليمات وعرفات الأشقر (ص: 103-105).

لأشعر شعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قيل: بم كان ذلك؟ قال: كان لا
يعاظم بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه¹.

وهذه مزية في شعر زهير بن أبي سلمى؛ فإنه لم يكن يستجدي بشعره ولا يطلب به نوالاً ولهذا
نال تلك المنزلة بين الشعراء.

فرزير حين يمدح - ويبالغ في مدح - هريم بن سنان والحارث بن عوف اللذين تحملا دياب
القتلى وأصلحا بين القبيلتين، وقد خلد ذكرهما في معلقته فقال:

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجزم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا ودبيان بعدما تقانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الأمر نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق وماتم

عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبج كنزا من المجد يعظم

ثم أفرد هريما بالمدح في غير المعلقة فقال:

¹ينظر: ((الشعر والشعراء)) لابن قتيبة (1/ 137)، ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق (1/ 98).

لَعَمْرُؤُ أَبَيْكَ مَا هَرِمُ بِنُ سُلْمَى بَمَلْحِي إِذِ اللُّؤْمَاءُ لِيَمُوا

وَلَا سَاهِي الْفُؤَادِ وَلَا عَيْيِ الدِّ لِسَانٍ إِذَا تَشَاجَرَتِ الْخُصُومُ

وَلَكِنْ عِصْمَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَطِيفُ بِهِ الْمُخَوَّلُ وَالْعَدِيمُ

مَتَى سُدَّتْ بِهِ لَهَوَاتُ ثَغْرِ يُشَارُ إِلَيْهِ جَانِبُهُ سَقِيمُ

مَخُوفٌ بِأَسْهُ، يَكْلُوكُ مِنْهُ قَوِيٌّ ، لَا أَلْفٌ وَلَا سَوْؤُومُ

لَهُ فِي الذَّاهِبِينَ أَرْوَمُ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمُ

وَعَوَّدَ قَوْمَهُ هَرِمٌ عَلَيْهِ وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخُلُقُ الْكَرِيمُ

كَمَا قَدْ كَانَ عَوَّدَهُمْ أَبُوهُ إِذَا أَرَمَتْ بِهِمْ سَنَةٌ أَرْوَمُ

لِيَتَجُوا مِنْ مَلَاوِمِهَا، وَكَانُوا إِذَا شَهِدُوا الْعِظَائِمَ لَمْ يَلِيمُوا

كَذَلِكَ خِيَمُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الضَّرَاءُ خِيَمُ

وَبَعْدَ زُهَيْرٍ فِي عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي الْمَدْحِ يَأْتِي النَّابِغَةُ الدُّبْيَانِيُّ، فَقَدْ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ فِي الْمَدْحِ، غَيْرَ أَنَّهُ

كَانَ يُجَالِسُ الْمُلُوكَ وَيَتَكَسَّبُ مِنَ الْمَنَازِرَةِ وَالْغَسَاسِنَةِ؛ وَلِذَا كَانَ يَرَى أَنَّ مَدْحَهُمْ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ

فِي طَبَقَةٍ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّهُمْ فِي طَبَقَةٍ عَنِ سَائِرِ طَبَقَاتِ النَّاسِ؛ وَلِهَذَا كَانَ يُجَوِّدُ الْمَدِيحَ وَيُرْخِرُفُهُ.

وَتَالِثُ الْفُحُولِ فِي الْمَدْحِ هُوَ الْأَعْشَى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ لَا هِمَّةَ لَهُ إِلَّا فِي الْمَدْحِ

وَالهَجَاءِ، وَكَانَ يَتَكَسَّبُ مِنْهُمَا، وَكَانَ رَجُلًا مَجْدُودًا فِي الشِّعْرِ؛ مَا مَدَحَ أَحَدًا إِلَّا رَفَعَهُ، وَلَا هَجَا

أَحَدًا إِلَّا وَضَعَهُ، وَالْأُمُورُ يَوْمَئِذٍ تَطِيرُ لِلشَّعْرِ طَيْرَانًا؛ فَكَانَ الْأَعْشَى عَلَى التَّحْقِيقِ أَوَّلَ مَنْ
اِخْتَرَفَ الْمَدِيحَ وَابْتَدَلَهُ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ؛ وَلِذَلِكَ اضْطُرَّ أَنْ يَنْفُخَ مَعَانِيَهُ بِالْمُبَالَغَةِ وَالْإِغْرَاقِ.

وَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ مِنْهُ ذَلِكَ وَالْفَوْهَ؛ لِأَنَّ حَظَّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشَّعْرِ أَنْ يَسِيرَ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا، فَإِنْ
رَكَدَ فِي لِسَانِ الشَّاعِرِ لَمْ يُبَالُوا بِهِ وَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا نَزَلَ الْأَعْشَى بِمَكَّةَ وَأَضَافَهُ رَجُلٌ
يُقَالُ لَهُ الْمُحَلِّقُ، وَكَانَ فَخِيرًا لَهُ بَنَاتٌ لَمْ يَتَرَوَّجِهَنَّ أَحَدٌ لِقَفْرِهِ، أَرَادَ الْأَعْشَى أَنْ يَنْشُرَ ذِكْرَهُ فَيُسَارِعَ
النَّاسُ فِي مُصَاهَرَتِهِ أَنْشَدَ فِي مَدْحِهِ، يَقُولُ:

أَرَفْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُؤَرِّقُ	وَمَا بِي مِنْ سَقَمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلِّقِ جَفَنَةً	كجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفَهُقُ
تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَبَيْنَهُمْ	مَعَ الْقَوْمِ وَلِدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ
لَعَمْرِي قَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ	إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بِالْيِفَاعِ تَحْرَقُ
تَشِبُّ لِمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانِهَا	وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلِّقُ
رَضِيعِي لِبَانِ تَذِيٍّ أَمْ تَحَالَفَا	بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَنْفَرُقُ
تَرَى الْجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ	كَمَا زَانَ مَتْنُ الْهِنْدَوَانِيِّ رَوْنَقُ

فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ قَصِيدَتِهِ أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى الْمُحَلِّقِ يُهَيِّئُونَهُ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهِ الْأَشْرَافُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ
يُسَارِعُونَ فِي مُصَاهَرَتِهِ، بِفَضْلِ تِلْكَ الْقَصِيدَةِ، فَمَا بَاتَتْ بِنْتُ مِنْ بَنَاتِهِ إِلَّا وَقَدْ تَزَوَّجَتْ مَنْ هُوَ
خَيْرٌ مِنْ أَبِيهَا أَلْفَ مَرَّةٍ .

وقد كان النَّاسُ يَتَسَابِقُونَ إِلَى المَدِيحِ، فَيَبْذُلُونَ فِيهِ الغَالِيَّ والنَّفِيسَ؛ ولهذا لَمَّا أغار النُّعْمَانُ بِنُ
 وائلِ الكَلْبِيِّ على بَنِي ذُبْيَانَ، وَسَبَى سَبِيًّا مِنْهُمْ، وَوَقَعَتْ فِي السَّبْيِ بِنْتُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ فَسَأَلَهَا:
 مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا بِنْتُ النَّابِغَةِ، فَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ، وَلَا أَنْفَعَ لَنَا عِنْدَ
 المَلِكِ مِنْهُ، ثُمَّ جَهَّزَهَا وَخَلَّاهَا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى النَّابِغَةَ يَرْضَى بِهَذَا مِثْلًا، فَأُطْلِقَ لَهُ سَبْيِي
 غَطْفَانَ وَأَسْرَاهِمَ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ النَّابِغَةُ أَنْشَدَتْ فِي حَقِّهِ فَقَالَ:

لَعَمْرِي لِنِعْمِ الحَيِّ صَبَحَ سِرْبِنَا	وأبياتنا يوماً بذات المراد
يَقُودُهُمُ النُّعْمَانُ مِنْهُ بِمُحَصِّفٍ	وكَيْدٍ يَغْمُ الخَارِجِيَّ مُنَاجِدٍ
وَشِيْمَةٍ لَا وَا نِ وَلَا وَا هِنِ القَوَى	وَجَدِّ إِذَا خَابَ المُفِيدُونَ صَاعِدِ
فَأَبِ بِأَبْكَارٍ وَعُونَِ عَقَائِلِ	أَوَانِسَ يَحْمِيهَا امْرُؤٌ غَيْرُ زَاهِدِ
يُحْطِطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَقْعَدِ	وَيَخْبَانُ رُمَانَ التُّدِيَّ النَّوَاهِدِ
وَيَضْرِبْنَ بِالأَيْدِي وَرَاءَ بَرَاغِزِ	حِسانِ الوُجُوهِ كَالطِّبَاءِ العَوَاقِدِ
عَرَائِرُ لَمْ يَلْقَيْنَ بِأَسَاءَ قَبْلَهَا	لَدَى ابْنِ الجُلَاحِ مَا يَثْقَنُ بِوَافِدِ
أَصَابَ بَنِي غَيْظٍ فَأَضْحَوْا عِبَادَهُ	وَجَلَّلَهَا نُعْمَى عَلَى غَيْرِ وَاحِدِ
فَلَا بُدَّ مِنْ عَوْجَاءَ تَهْوِي بِرَاكِبِ	إِلَى ابْنِ الجُلَاحِ سَيْرُهَا اللَّيْلِ قَاصِدِ
تَخُبُّ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنَالَهُ	فَدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفِي وَتَالِدِي
فَسَكَّنَتْ نَفْسِي بَعْدَمَا طَارَ رُوحُهَا	وَأَلْبَسْتَنِي نُعْمَى وَلَسْتُ بِشَاهِدِ

وكنْتُ امرأً لا أمدحُ الدهرَ سُوقَةً فليستُ على خَيْرِ أَتَاكَ بِحَاسِدٍ
سَبَقَتْ الرِّجَالُ البَاهِشِينَ إِلَى العُلَا كسَبَقِ الجَوَادِ اضْطَادَ قَبْلَ الطَّوَارِدِ
عَلَوَتْ مَعَدًّا نَائِلًا وَنِكَايَةً فَأَنْتَ لِعَيْثِ الحَمْدِ أَوَّلُ رَائِدٍ¹

❖ خَصَائِصُ المَدْحِ:

يَتَمَيَّزُ المَدْحُ بَعْدَةَ سِمَاتٍ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ الأَغْرَاضِ، كَمَا يَتَمَيَّزُ بِهَا المَدْحُ الجَاهِلِيُّ عَنِ غَيْرِهِ، وَمِنْهَا:

- نَقْلُ الأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ وَسَرْدُ أَيَّامِ العَرَبِ؛ فِي المَدْحِ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ التَّارِيخِ الجَاهِلِيِّ لَا يُسْتَهَانُ بِهِ.

- المُبَالِغَةُ فِي مَدْحِ المَوْصُوفِ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ المَدْحُ لِلتَّكْسُّبِ وَالاسْتِجْدَاءِ.

- يُعْتَبَرُ المَدْحُ خَطًّا عَرِيضًا فِي خُطُوطِ الصُّورَةِ الجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ يُبَيِّنُ مَظَاهِرَ الحَيَاةِ وَمَا يَرِدُ عَلَى الشَّاعِرِ مِنَ الحُرُوبِ وَالجَلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَمَنْ الجَدِيرُونَ بِالمَدْحِ وَالمُسْتَحَقُّونَ لِلدَّمِّ .

4- الرِّثَاءُ:

الرِّثَاءُ هُوَ بُكَاءُ المَيِّتِ وَمَدْحُهُ، فَيُذَكَّرُ مَا فَقَدَهُ الشَّاعِرُ أَوْ فَقَدَتْهُ القَبِيلَةُ بِفَقْدِهِ.

¹ يُنظَرُ: ((ديوان النابغة الذبياني)) (ص: 138)، ((في تاريخ الأدب الجاهلي)) لعللي الجندي (ص: 384).

ولمَّا كَانَ ذَلِكَ النَّوْعُ مِنَ الْمَدْحِ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَيِّتٍ لَا يُرْجَى مِنْهُ عَطَاءٌ أَوْ نَفْعٌ، كَانَ الرِّثَاءُ قَدِيمًا
أَصْدَقَ الشَّعْرِ وَأَنْقَاهُ وَأَخْلَصَهُ؛ إِذِ الدَّفَاعُ إِلَى الرِّثَاءِ إِكْبَارٌ يُخَالِطُهُ الْوَفَاءُ وَالْجَزَعُ، أَوْ حُبٌّ يُسَاوِرُهُ
النَّفَجُ وَالْتِحَسُّرُ، فَدَفَاعُ الرِّثَاءِ نَبِيلُ الْمَنْشَأِ، شَرِيفُ الْمَقْصَدِ، يَنْبُعُ مِنْ حُزْنِ الشَّاعِرِ عَلَى إِنْسَانٍ
قَطَعَ الْمَوْتُ صِلَتَهُ بِالْأَحْيَاءِ.

قَالَ الْبَاهِلِيُّ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: مَا بَالُ الْمَرَاثِي أَجْوَدَ أَشْعَارِكُمْ؟ قَالَ: لِأَنَّ نَقُولَ وَأَكْبَادُنَا تَحْتَرِقُ¹.

وَقَدْ عَرَفَ الْعَصْرُ الْجَاهِلِيُّ أَلْوَانًا مِنَ الرِّثَاءِ، وَكَانَ لِلنِّسَاءِ يَدٌ عَلِيًّا فِي ذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْأَدَبِ إِذِ
النِّسَاءُ بَطْبِعَهُنَّ (أَشْجَى النَّاسِ قُلُوبًا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَأَشَدَّهُمْ جَزَعًا عَلَى هَالِكِ، لِمَا رَكَّبَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي طَبْعِهِنَّ مِنَ الْخَوْرِ وَضَعْفِ الْعَزِيمَةِ)².

فَمَنْ اشْتَهَرَ أَمْرُهَا فِي الرِّثَاءِ: دَخَنْتُوسُ بِنْتُ لَقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ فِي أَبِيهَا، وَرِثَاءُ عَزَّةَ بِنْتِ مُكَدَّمٍ فِي
أَخِيهَا رَبِيعَةَ، وَالْخَنَسَاءُ فِي رِثَاءِ أَخِيهَا صَخْرٍ الَّذِي ظَلَّتْ تَبْكِيهِ طَوِيلًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهَا³:

قَدَى بَعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيَنْصُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارُ
تَبْكِي لَصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلِهَتْ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أُسْتَارُ
تَبْكِي خُنَاسٌ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَرْتُ لَهَا عَلَيْهِ رَنِينٌ وَهِيَ مِفْتَارُ
تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ

¹ ينظر: ((البيان والتبيين)) للجاحظ (218/2).

² ينظر: ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق (153/2).

³ ينظر: ((ديوان الخنساء)) (ص: 46).

لا بُدَّ مِنْ مِيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا عِبْرٌ وَالذَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
 قَدْ كَانَ فِيكُمْ أَبُو عَمْرٍو يَسْوُدُكُمْ نِعْمَ الْمُعَمَّمُ لِلدَّاعِيْنَ نَصَارُ
 صُلْبُ النَّحِيْزَةِ وَهَابٌ إِذَا مَنَعُوا وَفِي الْخُرُوبِ جَرِيءُ الصَّدْرِ مِهْصَارُ
 يَا صَخْرُ وِرَادَ مَاءٍ قَدْ تَنَادَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
 مَشَى السَّبْنَتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُعْضِلَةٍ لَهُ سِلَاحَانِ أَنْيَابٍ وَأُظْفَارُ
 وَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ نُطِيفٍ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانِ وَإِسْرَارُ
 تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ
 لَا تَسْمَنُ الذَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَخْنَانٌ وَتَشْجَارُ
 يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ وَلِلذَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ
 وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ
 وَإِنَّ صَخْرًا لِمِقْدَامٍ إِذَا رَكِبُوا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لَعَقَّارُ
 وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

فِي حِينِ اخْتَلَفَ رِثَاءُ الرَّجَالِ عَنِ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الرَّجَالَ قَدْ جَمَدَتْ صِلَابَةُ الْحَيَاةِ أَعْيُنَهُمْ، فَلَا
 يَبْكُونَ عَلَى مَيِّتٍ، وَإِنَّمَا يَمْدَحُونَهُ، كَمَا أَنَّهُمْ لَا يُبَالِغُونَ مُبَالِغَةَ النِّسَاءِ، فَلَا يُنْزِلُونَ الْمَيِّتَ فَوْقَ

مَنْزِلَتِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّعَالِيكِ لَمْ يَمْدَحْهُ مَدْحَ الْمُلُوكِ؛، وَلِهَذَا لَمَّا مَاتَ الشَّنْفَرِيُّ رَثَاهُ تَأَبَّطَ شَرًّا
بِقَوْلِهِ¹ :

فَإِنْ تَكَ نَفْسُ الشَّنْفَرِيِّ حَمَّ يَوْمَهَا وِرَاحَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ يُحَازِرُ
فَمَا كَانَ بَدْعًا أَنْ يُصَابَ فَمِثْلُهُ أُصِيبَ وَحَمَّ الْمُلتَجُونَ الْفَوَائِرُ
قَضَى نَحْبَهُ مُسْتَكْثِرًا مِنْ جَمِيلِهِ مُقَلًّا مِنَ الْفَحْشَاءِ وَالْعَرِضِ وَافِرُ
يُفْرِجُ عَنْهُ غَمَّةَ الرَّوْعِ عَزْمُهُ وَصَفْرَاءَ مِرْنَانَ وَأَبْيَضُ بَاتِرُ
وَأَشْفَرُ غَيْدَاقِ الْجِرَاءِ كَأَنَّهُ عُقَابٌ تَدَلَّى بَيْنَ نَيْقَيْنِ كَاسِرُ
يَجْمُ جُمُومَ الْبَحْرِ طَالَ عِبَابُهُ إِذَا فَاضَ مِنْهُ أَوْلُ جَاشَ آخِرُ
فِيكَفِي الَّذِي يَكْفِي الْكَرِيمُ بِحَزْمِهِ وَيَصِيرُ إِنَّ الْحَرَ مِثْلَكَ صَابِرُ
فَلَوْ نَبَأْتَنِي الطَّيْرُ أَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لِأَسَاكٍ فِي الْبَلْوَى أَخُ لَكَ نَاصِرُ
وَحَفَّضَ جَاشِي أَنْ كُلَّ ابْنِ حُرَّةٍ إِلَى حَيْثُ صِرْتَ لَا مَحَالَةَ صَائِرُ
وَإِنَّ سَوَامَ الْمَوْتِ تَجْرِي خِلَالَنَا رَوَائِحُ مِنْ أَحْدَاثِهِ وَبَوَاكِرُ

وَكَانَ رِثَاءُ الْمُلُوكِ مُخْتَلِفًا تَمَامًا عَنِ رِثَاءِ الْعَامَّةِ وَالصَّعَالِيكِ، فَذَوْمًا مَا كَانَ يَعْتَبِرُ الشُّعْرَاءُ فَقَدَهُمْ
فَقَدَّ أُمَّةً، وَأَنَّ مُصَابَ الْقَبِيلَةِ فِيهِمْ جَلٌّ، وَمِنْ ذَلِكَ رِثَاءُ النَّابِغَةِ الدُّبْيَانِيِّ التُّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
أَبِي شَمْرِ الْعَسَّانِيِّ، حِينَ قَالَ:

¹ يُنظَرُ: ((الأدب الجاهلي قضاياها أغراضه أعلامه فنونه)) لزكي طليمات وعرفات الأشقر (ص: 199).

فلا يَهْنِي الأعداءَ مَصْرَعُ مَلِكِهِم وما عَتَقَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وِوَائِلُ
وكانَ لَهُم رِبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَها إِذا حَضَخَصَتْ ماءَ السَّماءِ القَبائِلُ
يَسِيرُ بِها النُّعْمانُ تَغْلِي قُدُورُهُ تَجيشُ بِأسْبابِ المَنايا المَراجِلُ
يقولُ رِجالٌ يَجْهَلونَ خَلِيقَتِي لعلَّ زِيادًا لا أبا لَكَ غافِلُ
أبي غَفْلَةٌ أَنِّي إِذا ما ذَكَرْتُهُ تَحَرَّكَ داءٌ في فُؤادِي داخِلُ
وَأَنَّ تِلادِي إِن ذَكَرْتُ وَشِكْتِي ومُهْرِي وما ضَمَّتْ إِلَيَّ الأنايِلُ
حِباؤُكَ وَالعَيْسُ العِتاقُ كَأَنَّها هِجانُ المَها تُحْدِي عَلَيْها الرِّحائِلُ
فإِن كُنْتُ قَد ودَّعْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ أوايِ مُلْكٍ نَبَّتَتْها الأوائِلُ
فلا تَبْعَدَنَّ إِنَّ المَنِيَّةَ مَنهَلٌ وکلُّ امْرئٍ يَوْمًا بهِ الحالُ زائِلُ
فما كانَ بَيْنَ الخَيْرِ لو جاءَ سالِمًا أبو حَجَرٍ إِلا لَيالٍ قلائِلُ
فإِن تَحَيَّ لا أَمَلانَ حَياتِي وَإِن تَمُتْ فما في حَياءٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طائِلُ
فأَب مُصْلُوهُ بَعينٌ جَلِيَّةٌ وعودِرَ بِالجَوْلانِ حَزْمٌ وِوائِلُ
سقى العَينُ قَبْرًا بَيْنَ بَصْرِي وَجاسِولًا بَعينُ مِنَ الوَسْمِي قَطْرٌ وِوابِلُ
زالَ رِيحانٌ وَمِسْكَ وَعَنْبَرٌ على مُنتَهاهُ دِيمَةٌ نَمَّ هاطِلُ
وَيُنِبُّ حِوَدانًا وَعِوَفًا مُنورًا سائِبُهُ مِنَ خَيْرٍ ما قالَ قائِلُ
بكى حارِثُ الجَوْلانِ مِنَ فُقْدِ رَبِّهِ وِحوْرانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتضائِلُ
فَعودًا لَهُ غَسانُ يَرجونَ أوبَهُ وِثُرُكُ وَرَهْطُ الأَعْجَمينَ وِوائِلُ

كما عَرَفَ العَرَبُ كذَلِكَ رِثَاءَ أَنفُسِهِمْ؛ فَإِنَّ الشَّاعِرَ إِذَا رَأَى قُرْبَ أَجَلِهِ أَوْ أَحَسَّ بِذَلِكَ، أَنشَدَ يُعَزِّي نَفْسَهُ، كَمَا فَعَلَ المُمَزَّقُ العَبْدِيُّ حِينَ قَالَ¹ :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ المَوْتِ مِنْ رَاقٍ
قَدْ رَجَلُونِي وَمَا رُجِلْتُ مِنْ شَعَثٍ وَاللَّبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقٍ
وَرَفَعُونِي وَقَالُوا أَيُّمَا رَجُلٍ وَأَدْرَجُونِي كَأَنِّي طِيٌّ مِخْرَاقٍ
وَأرْسَلُوا فَتِيَّةً مِنْ خَيْرِهِمْ حَسَبًا لِيُسْنِدُوا فِي ضَرِيحِ التُّرْبِ أَطْبَاقِي
هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تُوَلِّعْ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلِوَارِثِ البَاقِي
كَأَنَّنِي قَدْ رَمَانِي الدَّهْرُ عَنْ عُرْضٍ بِنَافِذَاتِ بِلَا رِيَشٍ وَأَفْوَاقِي

وقد ظَهَرَ مِنَ الرِّثَاءِ أَيْضًا الرِّثَاءُ الجَمَاعِيُّ، وَهُوَ أَنْ يَرِثِيَ الشَّاعِرُ عِدَّةَ أَبْطَالٍ فِي قَبِيلَتِهِ، إِذَا فَقَدْتُهُم القَبِيلَةُ فِي الحَرْبِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ تَرِثِي مَنْ مَاتَ مِنْ قَوْمِهَا يَوْمَ الحُرَيْرَةِ² :

¹ يُنظر: ((المفضليات)) للمفضل الضبي (ص: 300)، ((شرح المفضليات)) لأحمد شاكر وعبد السلام هارون ص: 218¹

² يُنظر: ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني (22 / 320).

أبى لِيَلِكْ لا يَذْهَبُ وَنِيْطَ الطَّرْفُ بِالْكُوكَبِ
وَنَجْمٌ دُونَهُ الْأَهْوَا لُ بَيْنَ الدَّلْوِ وَالْعَقْرَبِ
وَهَذَا الصُّبْحُ لا يَأْتِي وَلا يَدْنُو وَلا يَقْرُبُ
بِعُقْرِ عَشِيرَةٍ مِّنَّا كِرَامِ الخَيْمِ وَالْمَنْصِبِ
أَحَالَ عَلَيْهِمْ دَهْرٌ حَدِيدُ النَّابِ وَالْمِخْلَبِ
فَحَلَّ بِهِمْ وَقَدْ أَمِنُوا وَلَمْ يَقْصُرْ وَلَمْ يَشْطُبْ
وَمَا عَنْهُ إِذَا مَا حَلَّ مِنْ مَنَجَّى وَلا مَهْرَبِ
أَلَا يَا عَيْنُ فابْكِيهِمْ بَدَمْعٍ مِنْكَ مُسْتَعْرَبِ
فَإِنْ أَبْكِي فَهُمْ عَزِي وَهُمْ رُكْنِي وَهُمْ مَنْكَبِ
وَهُمْ أَصْلِي وَهُمْ فَرْعِي وَهُمْ نَسْبِي إِذَا أَنْسَبِ
وَهُمْ مَجْدِي وَهُمْ شَرْفِي وَهُمْ حِصْنِي إِذَا أَرَهَبِ
وَهُمْ رُمْحِي وَهُمْ تُرْسِي وَهُمْ سَيْفِي إِذَا أَغْضَبِ

❖ خَصَائِصُ الرِّثَاءِ:

يَتَمَيَّزُ الرِّثَاءُ الْجَاهِلِيُّ بِبَعْضِ الْخَصَائِصِ؛ مِنْهَا:

- امتزاجه بالأغراض الأخرى؛ كالحماسة والفخر، والحرب في بعض الأحيان، وإفراده بقصائد ومقطوعات في أحيان أخرى.

- الشاعر الرائي يتجنب الكلام الغريب والوحشي؛ فإنه ليس في معرض التباهي والإغراب، وإنما تحمله الفطرة على البكاء والحزن.

- يظهر في أشعار الرثاء تعلق الجاهليين بالحياة، وخوفهم من الموت، ويقوي ذلك عدم إيمانهم بالبعث والجزاء.

- غياب المقدمات الطللية والعزلية في هذا الغرض؛ إذ للموت هيبة، وللحزن أحكام تتنافى مع الوقوف على الأطلال والتغزل بالمحبوب.

- إشراك الطبيعة في الحزن، فلا بد أن ترى في أشعار الرثاء الجاهلي حزن الشمس وانكسافها لموت الفقيد، وذبول النبات، وجفاف الأرض، وقد كان لهذا أثر في صدر الإسلام حين مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وانكسفت الشمس حينئذ، فقال الناس: انكسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا، وادعوا الله)).

- الواقعية والزهد في الرثاء، والبعد عن المبالغة ومدح الميت بما ليس فيه .

المحاضرة رقم 03:

مدخل : حركة التجديد في الشعر العربي العباسي: لمحة تاريخية

تأسست دولة الخلافة العباسية أو دولة بني العباس التي سميت بالعباسية نسبة لـ العباس بن عبد المطلب أحد أعمام الرسول - صلى الله عليه و سلم - بني العباس

محمد بن عبد الله وكان أو خلفاؤها هو أبو العباس السفاح، حيث قسم المؤرخون فترة حكم الدولة العباسية الأربعة ، صور رئيسية :¹

العصر العباسي الأول : وهي الفترة التي امتدت ما بين عام 132 مجرى 750 ميلادي و عام 232 هجري 847 ميلادي.

- العصر العباسي الثاني : وهي الفترة التي امتدت ما بين عام 232 هجري 847 ميلادي هجري وعام 334 هجري 946 ميلادي .

- العصر العباسي الثالث: وهي الفترة التي امتدت من عام 334 هجري 946 ميلادي وحتى عام 447 هجري / 1055 ميلادي .

العصر العباسي الرابع : وهي الفترة التي تلت سقوط بغداد العاصمة الدولة العباسية في أيدي المغول وامتدت من عام 474 الهجري / 1055 ميلادي حتى عام 656 هجري 1258 ميلادي.

مما سبق هذه كانت لمحة عن . عصور الدولة العباسية وحكمها.

الدكتور مصطفى الشكعة ، كتاب الشعر و الشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 5.6¹

لكي تستطيع فهم الشعر العباسي وما رافق مسيرته من تطور و سيرته من تطور وتغير وانفتاح وتجديد في الأفكار التي طرأت عليه والموضوعات التي طرقها والأساليب التي عمد إليها من تقليدية محافظة أو جديدة مستحدثة ولا بد أن نلم من شعر المرحلة السابقة للعصر العباسي والتي سميت لمرحلة شعراء مخضرمي الدوليين إن الإمام بهذه المرحلة ودراسة اتجاه الشعر والشعراء فيها الأسباب كثيرة لعل وأهمها سببين اثنين هما :

1- السبب الأول أن الشعر لا يتغير بين عشية وضحاها بتغير العهد أو الدولة التي عاش فيها فليس من المعقول أن يصنف شاعر ما في النصف الأول من عام مائة و اثنين وثلاثين هجرية بأنه شاعر أموي ويصنف في النصف الثاني منها حين سقطت دولة بني أمية و قامت دولة بني العباس بأنه شاعر عباسي ، حتى و لو مدح الشاعر هؤلاء وأولئك فالعبرة بطبيعة الشعر وسماته ومعطياته وتأثراته وليس بالعهد الذي قيل فيه .

2- السبب الثاني فإن كثيرًا من الشعراء الذين صنفهم بعض الدارسين القدامي و المحدثين على أنهم شعراء عباسيون ليس لهم في الواقع من العباسية إل¹ الاسم أو الصفة وهم في واقع أمرهم أمويون من حيث أسلوب الشعر ومنهجه وموضوعاته.

فمثلا الشاعر بشار بن برد ، مروان بن أبي حفصة شاعر المهدي ورأس شعراء الرشيد يقال عنهم وعن الكثير من الشعراء فترة مخضرمي الدولتين فنسبوا لبعضه مدرسة المرحلة العباسية والبعض الآخر المرحلة الأموية مع أن الأمر أدق يجب دراسة متأنية تضع كل شاعر من

¹ عبد العزيز شرف : الادب العربي في العصر العباسي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص 102.100

الشعراء الذين ولدوا في العصر الاموي ولحقوا بالعصر العباسي في مكانه الصحيح فنيا من واقع استقراء شعره وتطبيق معايير النقد السليمة ومعايير التقييم العادلة على إنتاجه بغض النظر عن أي تصنيف سابق أو لاحق .

مر الشعر العباسي بعدة مراحل اهمها .

المرحلة الأولى (القرن الأول الهجري) : تعتبر هذه المرحلة بداية الشعر العباسي . حيث ظهر الشعراء مثل الفرزدق و جرير، تميزت هذه المرحلة بالتركيز على الشعر السياسي والمدح والهجاء كان الشعراء في هذه المرحلة يتبعون الاسلوب التقليدي في الشعر العربي ، من أهم شعراء هذه المرحلة :

- الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصة التميمي شاعر عربي مشهور عرف بشعره السياسي والمدح والهجاء .

- جرير بن عطية بن الخطفي شاعر عربي مشهور عرف بشعره السياسي والمدح والهجاء .

- الأخطل هو غياث بن غوث بن الصلت شاعر عربي مشهور عرف بشعره

السياسي والمدح والهجاء .

ويعتبر هؤلاء الشعراء الثلاثة من أشهر شعراء المرحلة الأولى وهم معروفون بشعرهم القوي والجميل .

المرحلة الثانية : المرحلة الخضرمية في الشعر العباسي .

هي فترة زمنية امتدت من القرن الثاني الى القرن الثالث الهجري وتعتبر من أهم المراحل في تاريخ الشعر العربي ، من أهم خصائصها :

- ازدهار الشعر حيث شهدت المرحلة ازدهارا كبيرا في الشعر العربي حيث ظهر العديد من الشعراء البارزين مثل أبو نواس وأبو تمام .

- تأثير الثقافة الفارسية حيث تأثر الشعر العباسي بالثقافة الفارسية مما أدى لظهور موضوعات جديدة وأساليب شعرية مبتكرة.

- التركيز على المجون حيث اشتهر شعراء هذه المرحلة بالمجون والخمرة، حيث كتبوا قصائد غزلية و خمريات .

- التجديد في الاسلوب : شهدت هذه المرحلة تجديد ا في الأسلوب الشعري حيث استخدم الشعراء أساليب جديدة كالتشبيه والاستعارة.

و من أهم شعراء المرحلة الخضرية :

- أبو نواس و يعتبر من أشهر شعراء هذه المرحلة .

- أبو تمام اشتهر بقصائد الحماسية و الوطنية .

المرحلة الثالثة مرحلة التجديد (القرن الرابع عشر) :

شهدت هذه المرحلة تجديدًا في الأسلوب الشعري وتميزت هذه المرحلة بالتركيز على الشعر الفلسفي والتصوف حيث كان الشعراء يتتبعون فيها الأسلوب الفلسفي في الشعر العربي و من أهم شعراء هذه المرحلة :

- المتنبّي هو أحمد بن الحسين الحسن ، شاعر عربي مشهور عرف بشعره الفلسفي والمدح .

- المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان شاعر عربي مشهور وعرفه بشعر فلسفي والمدح .

هذه الشاعران يعتبران من أشهر شعراء مرحلة التجديد .

المرحلة الرابعة والأخيرة مرحلة الانحطاط (القرن الخامس هجري فما بعد):

شهدت هذه المرحلة انحطاطا في الشعر العباسي حيث قل الاهتمام بالشعر وتأثر بالثقافات الأخرى وتميزت هذه المرحلة بالتركيز على الشعر الشعبي والعامي وكان الشعراء يتبعون الأسلوب البسيط في الشعر العربي و من أهم شعراء مرحلة الانحطاط :

- ابن نباتة المصري هو محمد بن محمد بن نباتة عرف بعنه الشعبي وهو شاعر عربي .

- البوصيري هو محمد بن سعيد بن حماد شاعر عربي عرف بشعره الصوفي والمدح .

هذه المراحل تعتبر من أهم الفترات في تاريخ الشعر العربي العباسي حيث شهدت تطور كبيرا في الشعر وتأثيرا كبيرا على الشعر العربي فيما بعد .

محاضرة رقم 04:

مظاهر التطور والتجديد في الشعر العباسي.

تجلت مظاهر التجديد في الشعر العباسي في عدة جوانب، منها توسيع الموضوعات لتشمل وصف الطبيعة، والحياة الجديدة، والمجون، والزهد إلى جانب الموضوعات التقليدية. كما شهدت الأوزان والقوافي تنوعاً كبيراً لتناسب الأغراض الشعرية الجديدة، وظهرت أشكال جديدة مثل الموشحات والمسمطات. وعلى مستوى الشكل والمضمون، تم إحداث تطور في الأساليب الشعرية واستخدام بكثرة المحسنات البديعية مثل الاستعارات والكنائيات، بالإضافة إلى إدخال المعاني الفلسفية في القصائد.

التجديد والثورة على القديم في الشعر العباسي:

تغيرت حياة المجتمع الإسلامي تغيراً هائلاً، إلا أنّ معظم الدارسين يجمعون على أنّ أدب العصر الأموي بقي امتداداً للحياة الأدبية الجاهلية، ولم يتغير إلاّ تغيراً طفيفاً وجزئياً. فالحزبات القبلية ظلت مادة عزيزة في الشعر الأموي؛ كالفنائه والشعر السياسي الذي اقترن بظهور الأحزاب السياسية، فكانت الشام والعراق مسرحاً لها. في حين ظهر في الحجاز الغزل الرقيق بنوعيه العفيف والماجن؛ نظراً لانتشار الترف والغناء في هذا المجتمع بسبب ما أغدقه الخلفاء على هذا المصر. ويصف شوقي ضيف ناحية التجديد في هذا الفن فيقول: «غزل عمر بن أبي ربيعة جديد في تاريخ الشعر العربي من حيث المرأة التي يتغزل بها، فهي امرأة متحضرة أتيج لها من الفراغ وأسباب زينة الحياة ما لم يتح للمرأة الجاهلية».

وناحية التجديد في هذا العصر بدأت تأخذ شكلها بداية من نهاية ق2هـ، وذلك بتأثير

العوامل المختلفة التي أثرت في شكل الحياة الاجتماعية الإسلامية تأثيراً خطيراً؛ كظهور الشعر المذهبي (الكميت بن يزيد) في هاشمياته، كما ظهر نهاية الدولة الأموية الشاعر الوليد بن يزيد بن معاوية حاملاً لواء حركة تجديدية، حيث يعتبر أول من فتح باب الإباحة والتعبير الحر عن مختلف نوازع النفس وشهواتها، كما أنه غيّر في لغة الشعر باختيار اللغة المألوفة في الحياة اليومية، وأغرى الشعراء بهجر الصياغة القديمة والأسلوب الجزل الرصين. كما اقتصر على المقطوعات دون القصائد التقليدية المطولة.

وأخذت حركة التجديد تسري في مطلع ق2هـ وتصطدم بعنف بعمود الشعر القديم ومنهجه وقوالبه. ومما أعان أيضاً على وجود هذه الحركة ظهور طبقة جديدة من ناحية جنسها؛ إذ كانت مزيجاً بين العرب وبين الأجناس الأخرى سميت بالطبقة المولدة، والتي كانت تكتسب خصائص نفسية وطرائق تفكير تختلف عن العربية. إلى جانب إتقانهم للغة العربية ولغاتهم الأصلية، فلم تكن القوالب الجاهلية تلائم الفم وتقتحم السمع. كما أنّ الرابطة العاطفية انعدمت بينهم وبين معالم الحياة العربية الجاهلية؛ بما فيها من أطلال ونوى وبعر الأرام وغيرها. كما أنّ سبب انكماش القصائد المطولة في ق2هـ هو أنّ الشاعر أصبح يُجدُّ قصيدته بفكرة واحدة.

وباعتبار أنّ هؤلاء الشعراء لا يرتبطون بالحياة العربية القديمة بأية عاطفة تدعوهم إلى الحفاظ على تقليد شعري قديم نجد أبا نواس يعبر تعبيراً صادقاً عن ذلك بقوله:

ما لي بدارٍ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلُ وَلَا شَجَانِي لَهَا شَخْصٌ وَلَا طَلَلُ
 وَلَا رُسُومٌ وَلَا أَبْكَى لِمَنْزِلَةٍ لِلْأَهْلِ عَنْهَا وَلِلْجِيرَانِ مُنْتَقَلُ
 وَلَا شَتَوْتُ بِهَا عَاماً فَأَدْرَكَنِي فِيهَا الْمَصِيفُ فَلِي عَنْ ذَاكَ مُرْتَحَلُ
 وَلَا شَدَدْتُ بِهَا مِنْ خَيْمَةٍ طُنْباً جَارِي بِهَا الضَّبُّ وَالْحِرْبَاءُ وَالْوَرَلُ
 لَا الْحَزْنَ مَنِي بِرَأْيِ الْعَيْنِ أَعْرِفُهُ وَلَيْسَ يَعْرِفُنِي سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ
 لَا أَنْعْتُ الرُّوضِ إِلَّا مَا رَأَيْتُ بِهِ قَصِراً مَنِيفاً عَلَيْهِ النَّخْلُ مُشْتَمِلُ

ومن أمثلة التجديد في مطالع القصائد ما نجده عند أشجع السلمي في مدحه للرشيد فيبدوها

بهذا الوصف الماجن للخمر:

لَا عَيْشَ إِلَّا فِي جُنُونِ الصَّبَا فَإِنْ تَوَلَّى فَجُنُونُ الْمَدَامِ
 كَأَسِّ إِذَا مَا الشَّيْخُ وَالِي بِهَا حَمْساً تَرَدَّى بِرِدَائِ الْعُلَامِ
 ظَاهِرَةُ الْحُسَنِ إِذَا جُرِدَتْ لَطِيفَةُ الْمَسَلِكِ بَيْنَ الْعِظَامِ
 لَمْ يُشِبِ الدَّهْرُ لَهَا مَفْرِقاً أَخْرَجَهَا مِنْ دَنِّهَا بِنْتٌ عَامِ
 كَأَنَّهَا الْمِسْكُ إِذَا صُفِّقَتْ حَدِيثَةُ الْعَهْدِ بِقَضِّ الْخِتَامِ
 كَرِخِيَّةٌ قَدْ مَاتَ أَتْرَابُهَا كَرِيمَةٌ تُوهِى بِعَقْلِ الْكِرَامِ
 تَذَكَّرُ كِسْرَى وَهِيَ فِي مَهْدِهِ وَقَيْصِراً مِنْ قَبْلِ حِينَ الْفِطَامِ
 هَارُونَ يَحْمِي مُلْكَ آبَائِهِ وَرَبُّ هَارُونَ لِهَارُونَ حَامِي
 خَلِيفَةٌ مُؤَنَسَةٌ سَيْفُهُ مُشَاوِرٌ لِلرَّأْيِ لَا لِلْأَنَامِ

أما تأثير الشعوبية فقد كانت دعوة عامة بين الشعراء ولم تكن لدى أبي نواس وحده. فقد شاركه فيها بشار بن برد، يقول أبو نواس :

عَاجِ الشَّقِيَّ عَلَى دَارٍ يُسَائِلُهَا وَعُدْتُ أَسْأَلُ عَن خَمَارَةِ الْبَلَدِ
لَا يُرْقِي اللهُ عَيْنِي مَن بَكَى حَجْرًا وَلَا شَفَى وَجَدًا مَن يَصْبُو إِلَى وَتَدِ
قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ أَسَدٍ لَا دَرَّ دَرُّكَ قُلْ لِي مَن بَنُو أَسَدِ
وَمَن تَمِيمٌ وَمَن قَيْسٌ وَإِخْوَتُهُمْ لَيْسَ الْأَعْرَابُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدِ

كما أننا نجد أبا نواس -خاصة في مدائحه- يتردد بين المذهب القديم والجديد

طوال حياته، فهو أحياناً يمدح هارون الرشيد على الطريقة القديمة فيذكر الأطلال ويصف راحلته التي أوصلته إلى الممدوح فيقول:

حَيِّ الدِّيَارِ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ وَإِذِ الشِّبَاكُ لَنَا حَوَى وَمَعَانُ
يَا حَبَّذَا سَفَوَانُ مِنْ مُتَرَبِّعٍ وَلَرَبَّمَا جَمَعَ الْهَوَى سَفَوَانُ
وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارِ أُمَيَّةَ الْهَجْرَانُ

وأبو نواس أحيانا أخرى يمدح الرشيد فيبدأ قصيدته بأبيات قليلة يذكر فيها الأطلال، وكأنما كان ذلك تعمية منه لما يضمرة في نفسه من رغبة في وصف الخمر، ويبدو أنه كان مترددا حذرا في مدح الرشيد على المذهب الجديد يقول:

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ بُكَائِي وَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي
كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أَمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي
فَلَمَّا بَدَأَ لِي اليَأْسُ عَدَّيْتُ نَاقَتِي عَنِ الدَّارِ وَاسْتَوَلَى عَلَيَّ عَزَائِي
إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهْزُ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرَنَّ طُولَ ثَوَائِي
وَكَأْسِ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا عَلَى قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدِ بِلِقَائِي

وقد كان يفعل ذلك مع الرشيد فلما تولى الأمين الخلافة وقد كان يتمتع بالحرية الدينية التي كان يمارسها، وجد أبو نواس الفرصة سانحة للخروج على المذهب القديم. وقد كانت أولى قصائده يوم هنأه بالخلافة على المذهب الجديد وقد قدّم لها بهذا القول: «يا أمير المؤمنين إنّ شعراء الملوك قبلي شببوا بالمدر والحجر والشاء والبقر والصوف والوبر فغلظت طباعهم واستغلقت معانيهم...» وقد بدأ هذه القصيدة بهذا الشكل:

أَلَا دَارَهَا بِالمَاءِ حَتَّى تُلِينَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حَتَّى تَهَيِّئَهَا

وحيث أحسّ أبو نواس برضى الخليفة عن هذا المذهب الجديد تقدم خطوة أخرى في قصيدة

تالية فمزج وصف الخمرة بالغزل بالمدح فقال:

يَسْقِيهَا نُو فُرْطَقٍ يُلْهِى وَيُعْجِلُ مِنْ حَبَسِ
حَنْثُ الْجُفُونِ كَأَنَّهُ ظَبْيُ الرِّيَاضِ إِذَا نَعَسِ
أَضْحَى الإِمَامُ مُحَمَّدٌ لِلدِّينِ نُورًا يُقْتَبَسِ

وقد استغل خصوم الأمين هذا المذهب الجديد في السياسة فأزروا عليه وأعلنوا للناس مروقه

عن الدين، وإلا كيف يسمح لشاعر بمثل هذه القصائد التي لا يجب أن تقال إلا في الحانات.

خلاصة القول أنه يمكننا حصر عناصر الخصومة بين القدماء والمحدثين في اختلافهم

على جزئيات عمود الشعر وعلى نهج القصيدة أيضا. وفي الإتيان بفكرة استنفاد القدماء

للمعاني، فأغلب ما في هذه الخصومة كان دائرا حول تجديد المحدثين لمعاني الأقدمين وذلك

عن طريق وضعها في صورة شعرية جديدة. فعمود الشعر كما فهمه الأقدمون وقرره المرزوقي

هو سبعة أبواب: (شرف المعنى وصحته، جزالة اللفظ واستقامته، الإصابة في الوصف،

المقاربة في التشبيه، التحام أجزاء النظم والتأماها مع تخير من لذيذ الوزن، مناسبة المستعار

منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها). ومما لا

شك فيه أن الشعراء المجددين في ق2هـ قد خرجوا على هذا العمود في بعض نواحيه ،

يقول ابن الأعرابي عن شعر المحدثين: « إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطل». وهل كان

من الممكن أن يهضم ابن الأعرابي -الذي يعيش بعلمه وروحه في التراث الجاهلي والبيئة

العربية القديمة- معنى لأبي نواس متأثراً بعلم الكلام كما في قوله:

يا عاقِدَ القَلْبِ مَنِي هَلَّا تَدَكَّرْتَ حَلًّا
تَرَكْتَ جِسْمِي عَلِيًّا مَنَ القَلِيلِ أَقْلًا
يَكَادُ لا يَنْجَرًا أَقْلًا فِي اللَّفْظِ مَن لا

أو ما شابه ذلك من المعاني التي أدخلتها الحضارة الجديدة وثقافة العصر التي نقلت المجتمع الإسلامي نقلة ضخمة.

وهناك من النقاد المحدثين من يشككون في قيمة هذا التجديد إذ نجد طه حسين يعتقد أن «كل ما عرف العرب من اختلاف في الشعر بين القدماء والمحدثين اختلاف في اللفظ نشأت عنه مدرسة مسلم بن الوليد وغيره من أصحاب البديع، واختلاف في المعنى نشأت عنه مدرسة أبي نواس وغيره من الذين آثروا اللفظ القديم والمعنى الجديد ولم يتكفوا بديعا. و هو على خطره لم يغير الشعر في موضوعه ولا في صورته ولا في نوعه. ولم يتغير في لفظه ومعناه إلا تغيرا قليلا جدا».

المحاضرة رقم 05:

شعر العصبية (الشعر المذهبي والسياسي)

1/ الشعر المذهبي:

يقصد بالشعر المذهبي الشعر الذي قاله أصحابه في انتصارهم لمذاهبهم المختلفة، سواء كانوا من الخوارج أم من الشيعة أم من المرجئة. هذه الفرق التي كانت تتناحر منذ بداية ق2هـ، وبدأت تحل محل الأحزاب السياسية، وهذه المذاهب كانت تستمد أصولها من أفكار دينية تم اصطناع بعضها بعد ذلك بنزعات سياسية. والشعر المذهبي يعتبر جديدا على الشعر العربي فلم يظهر قبل ق2هـ.

وقد كان للمتكلمين تأثير كبير في نشأة المذاهب المختلفة، فهم من أثاروا بجدالهم الديني مشكلات كثيرة وعقائد مختلفة. ووضعوا في أيدي أصحاب الفرق سلاحا يدافعون به عن آرائهم وهو الجدل والمحاكاة.

والشاعر المذهبي الحق لا يمدح فردا إلا إذا كان لهذا المدح صلة بمذهبه فقد روي أن السيد الحميري وقف على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ

فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلِبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ نَفْعَ الْمُنَزَّلِ الْعَوَادِ

لَا تُقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

بشار: من

فقال

هذا؟ فعرفه فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في

مذهبنا لأتعبنا¹.

ولعل مشكلة الجبر والاختيار كانت أولى المشكلات التي اختلفت حولها الفرق المذهبية ومدارها هل نعتزف بأن الله قدر على عباده الشر؟ فننفي بذلك العقل عن الإنسان وفعاليتة وقدرته على التمييز بين الخير والشر دون تأثير ألهي، فنصطدم ببعض آيات القرآن وبعض الأحاديث التي لا يملك الإنسان لها ردا كالموت فنجد من الشعراء من ينتصر للقدرية ومنهم من يقف إلى جانب الجبرية وفريق ثالث بينهما، فصالح بن عبد القدوس مثلا ينفي الجبرية نفيا تاما فيقول:

ولا أقول إذا ما جئت فاحشة إني على الذنب محمول ومجبور

وهو في موضع آخر متحير في نسبة الأفعال التي يأتيها البشر: هل هي جبرية أم اختيارية أم بين بين، يقول: وقال أيضاً:

لم تَخَلْ أفعالنا اللاتي نَذَلْ بِها إِحدى ثلاث خِصال في مَعانيها
إِما تَقْرُدْ مَوْلانا بَصنعتها فَاللَّومُ يَسْطُطْ عَنا حينَ نَأْتِيها
إِو كانَ يَشْكُرُنا فَاللَّومُ يَلْحَقُه إِِنْ كانَ يَلْحَقُنا من لائِمِ فيها
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلهي في جِنايَتِها صُنْعُ فَمَّا الصُّنْعُ إِلا ذَنْبُ جانيها

وأبو العتاهية يذهب مذهب الجبرية شأن غالبية المتزهدين والصوفية فيقول:

1- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج.7، ص.237.

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَلَا يُقْضَى عَلَيْهِ وَمَا لِلْخَلْقِ مَا شَاءُوا

لَمْ يُخْلَقِ الْخَلْقُ إِلَّا لِلْفَنَاءِ مَعًا نَفْنَى وَتَفْنَى أَحَادِيثٌ وَأَسْمَاءُ

والخوارج على هذا الأساس حزب ثوري صريح في عدائه للدولة القائمة ومذهبهم مؤسس على فكرة دينية، فهم يريدون توجيه الأمور العامة وفقاً لأوامر الله ونواهيته، وقد كانوا شديدي الحماسة والإيمان بمذهبهم إلى حدّ الفناء في سبيله، وكان شعرهم صدى لنفوسهم المؤمنة الثابتة على مبادئها، وقد لاحظت الباحثة سهير القلماوي، أن الكلام في العقيدة لم يشغل حيزاً يذكر في شعرهم، كما أن شعورهم الديني لم يكن شعور المفكرين المتكلمين، وإنما كان شعور أعراب سذج لم يدرسوا ويبحثوا أو يعللوا ويحللوا، ولهذا لا نجد في أدبهم جدالاً أو دفاعاً بالحجج والبراهين، وشعرهم صادق كل الصدق، فهذا ابن شبيب يذهب إلى خالد القسري يسأله الفريضة (العدل) فيقول خالد: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فلما رجع عليه ابن شبيب قال:

لَمْ أُرِدْ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ إِلَّا طَمَعًا فِي قَتْلِهِ أَنْ أَنَا لَا

فَأُرِيحَ الْأَرْضَ مِنْهُ وَمِمَّنْ عَاتَتْ فِيهَا وَعَنِ الْحَقِّ مَا لَا

كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَرَاهُ تَرَكَ الْحَقَّ وَسَنَّ الضَّلَالَا

إِنِّي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكٌ قِيلاً لَدَيْهِمْ وَقَالَ

بَائِعٌ أَهْلِي وَمَالِي أَرْجُو فِي جِنَانِ الْخُلْدِ أَهْلًا وَمَالًا¹

وفي هذه الأبيات يشير ابن شبيب إلى مبدأ الخوارج وهو الخروج على السلطان الذي ترك الحق في نظرهم مضحين في سبيل ذلك بالأهل والمال راجين أن ينالوا جزاءهم في الآخرة.

1- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387 هـ، ج.7، ص.137.

وعلى أية حال فالقرن الثاني لم يشهد للخوارج نشاطا كبيرا بعد هزيمتهم الساحقة على يد مروان بن محمد قبيل قيام الدولة العباسية.

أما المرجئة وهم من أقدم الفرق المذهبية في الإسلام فقد أطلقت عليهم هذه التسمية لأنهم يردون الحكم ويكتفون بالإيمان وهم ثلاثة أصناف:

1- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية المعتزلة.

2- صنف قالوا بالإرجاء بالإيمان وبالجبـر في الأعمال على مذهب جهـم بن صفوان.

3- صنف ثالث خارج عن الجبرية والقدرية.

ومن الشعر الذي وصلنا يصور مذهب الإرجاء بعض قصائد لثابت قطنـة الذي يعد أكبر داعية لهذا المذهب وهو يشرح عناصر مذهبهم فيقول:

يا هِنْدُ فَاسْتَمِعِي لِي إِنَّ سِيرَتَنَا أَنْ نَعْبُدُ اللَّهَ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
نُرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً وَنَصِدِّقُ الْقَوْلَ فَيَمَنُ جَارٌ أَوْ عِنْدَا
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ وَالْمُشْرِكُونَ أَشْتَوْا دِينَهُمْ قَدَدَا
وَلَا أَرَى أَنَّ ذَنْبًا بَالِغٌ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ شِرْكَاً إِذَا مَا وَحَدُوا الصَّمَدَا
لَا نَسْفِكُ الدَّمَ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِنَا سَفَكُ الدِّمَاءِ طَرِيقاً وَاحِداً جُدَا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ التَّقِي إِذَا وَفَى الْحِسَابَ
وَمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ وَمَا يُقْضَى مِنْ شَيْءٍ يَكُنْ رُشْدَا
كُلُّ الْخَوَارِجِ مُخْطِ فِي مَقَالَتِهِ وَلَوْ تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ

أَمَّا عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ فَأَيُّهُمَا عَبْدَانِ لَمْ يُشْرِكَا بِاللَّهِ مُذْ عَبْدَا

و(فون كريم) يعلق على هذه القصيدة فيقول: إنها تبين أن المرجئة نظروا إلى هذه الحياة والحياة الأخرى نظرة أكثر أملاً وثقة من الحزب السني القديم والخوارج المتعصبين، وأنكروا بصفة خاصة خلود عذاب النار للمسلمين¹، وقد حاولوا التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين حين تطور النزاع بين الأحزاب وحلت تلك المشكلة الاجتماعية محل الخلاف على الإمامة.

والمرجئة تجيز احتمال عفو الله حتى مع عدم التوبة، بينما يرى المعتزلة أن الكبيرة تستحق العقوبة حتما ما لم يتب مرتكبها، وأن من مات عاصيا مرتكبا للكبيرة لا بدّ من النار، وقد أثبت قطنة موقف المرجئة من هذه النقطة في قوله:

وَلَا أَرَى أَنْ ذَنْبًا بِالْعِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ شِرْكَاءَ إِذَا مَا وَحَدُوا الصَّمْدَا

ويبدو أن أكثر الذين اعتنقوا مذهب الإرجاء كان دافعهم إلى ذلك هذه النقطة بالذات، ويظهر أن أبا نواس قد مال إلى هذا المذهب لينال عفو الله من آثامه، ولهذا قال لشيخ المعتزلة:

لَا تَحْظُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ إِمْرًا حَرَجًا فَإِنَّ حَظْرَكُهُ فِي الدِّينِ إِزْرَاءُ

وفي الوقت نفسه يصرح بثقته في عفو الله على مذهب المرجئة فيقول:

وَتَيْتُ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنِ كُلِّ مُسْلِمٍ فَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ مَا عِشْتُ مُقْصِرَا

1- الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، فون كريم، تر. مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، القاهرة،

1292هـ، ص.68.

وربما كان حقاما للاحظه أحمد أمين من أن مذهب المرجئة في العفو حتى مع عدم التوبة والإكثار من المعاصي فتح بابا واسعا من أبواب الأدب، إذ ركن كثير من شعراء الدولة العباسية إلى عفو الله على مذهب الإرجاء حينما أفرطوا في اللهو وأسرفوا في اللذة¹.

أما المعتزلة فقد تفرقوا إلى فرق كثيرة، ويتفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة، وعلى أن القرآن محدث مخلوق، وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العباد ومذهبهم يرتكز على أسس خمسة هي: القول بالتوحيد، القول بالعدل، القول بالوعد والوعيد، القول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد نشطت حركة المعتزلة في مطلع ق2هـ، وانبث دعائهم في أنحاء المملكة الإسلامية ينشرون مذهبهم ويحاجون به الفرق الأخرى، وقد صور لنا أحد شعرائهم وهو صفوان الأنصاري جهاد المعتزلة في دعوتهم كما كشف لنا عن بعض مبادئهم في قصيدة يتحدث فيها عن رأس من رؤوس المعتزلة وهو واصل ابن عطاء فيقول:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفلّ عظيمهم تهكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مروا في الشتاء تطوعوا وإن كان صيف لم يخف شهر ناجر
بهجرة أوطان وبذل وكلفة وشدة أخطار وكد المسافر
فأنجح مسعاهم وأتقب زندهم وأورى بفلج للمخاصم قاهر

1- أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج.3، ص.328.

وأوتاد أرض الله في كل بلدة وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سبحانه يشق غبارهم ولا الشدق من حيي هلال بن عامر
ولا الناطق النخار والشيخ دغفل إذا وصلوا إيمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهط مكحل إذا نطقوا في الصلح بين العشائر
بجمع من الجفين راض وساخط وقد زحفت بدآؤهم للمحاضر¹
تلقب بالغزال واحد عصره فمن لليتامى والقبيل المكائر
ومن لحروري و آخر رافض وآخر مرجي وآخر جائر
وأمر بمعروف وإنكار منكر وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فصل القول في كل موطن كما طبقت في العظم مدينة جازر

وشعر المعتزلة الذي وصلنا يصور جانباً من مبادئهم، كما يتضمن رأيهم في مذاهب غيرهم
من الفرق، فمن ذلك قول بشر بن المعتمر يذكر الخوارج بفضل علي بن أبي طالب -الذي

يناصبونه العداً ويكفرونه- عليهم فيقول:

ما كان في أسلافهم أبو الحسن ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غرّ مصابيح الدجى مناجب أولئك الأعلام لا الأعراب
كمثل حرقوص² ومن حرقوص فقعة قاع حولها قصيص

1- الجفان: بكر وتميم. والروقان: بكر وتغلب. والغاران: الأزدي وتميم. ويقال ذلك لكل عمارة من الناس، وهي الجمع، وهم
العمائر أيضاً: غار. والجف أيضاً: قشر الطلعة-.

2- وهي أطراف السياط.

ليس من الحنظل يُشتار العسل ولا من البحور يصطاد الورل¹

هيات سافلة كعالية ما معدن الحكمة أهل البادية

وقد تصدى صفوان الأنصاري شاعر المعتزلة لدعوة بشار في مفاضلته النار على الأرض، وكيف أن الأرض أكرم عنصرا من النار لاحتوائها على أعاجيب وأسرار، ويربط الشاعر المعتزلي ذلك بمبدأ التوحيد يقول:

زعمت بأن النار أكرم عنصرا وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند
وتخلق في أرحامها وأرومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والغنبر الورد
كذلك سر الأرض في البحر كله وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد
ولا بد من أرض لكل مطير وكل سبوح في الغمائر من جد
كذاك وما ينساح في الأرض ماشيا على بطنه مشي المجانب للقصد
ويسري على جلد يقيم حزوزه تعمج ماء السيل في صيب حرد
وفي قلل الأجيال خلف مقطم زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرة الرجلاء تلقى معادن لهن مغارات تبجس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التي تروق وتصبي ذا القناعة والزهد
وكل فلز من نحاس وأنك ومن زئبق حي ونو شاذر يسدي

1- الورل: على خِلقَة الضَّبِّ،

وكان للمتكلمين تأثير كبير على الشعر العباسي ومنذ أن نشأ علم الكلام فقد اهتم به عدد كبير من الشعراء باعتبارهم طبقة مفكرة، وكان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام قبل ظهور المعتزلة كان منهم شاعران هما بشار وصالح بن عبد القدوس، وفي البصرة في ق2 هـ ظهر شاعر متأثر بمذهب المتكلمين هو أبو عبد الرحمن العطوي، وإبراهيم النظام المعتزلي كان له شعر دقيق على طريقة المتكلمين، وقد أثر مذهب المتكلمين على شعراء ق 2 هـ فنجدهم يستخدمون مصطلحات علم الكلام وأساليبهم، فالعباس بن الأحنف يذكر في غزله مشكلة القدرية فيقول:

عَيْنَايَ شَامَتَ دَمِي وَالشُّؤْمُ فِي النَّظْرِ بُعْدًا لِعَيْنٍ تَبِيعُ النَّوْمَ بِالسَّهْرِ
 يَا مَنْ لِظْمَانٍ يَغْشَى الْمَاءَ قَدْ مَنَعُوا مِنْهُ الْوُرُودَ وَأَبَقُوهُ عَلَى الصَّدْرِ
 أُخْفِيَ الْهَوَى وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِنِّي لَمُسْتَتِرٌ فِي غَيْرِ مُسْتَتِرٍ
 فَأَكْثَرُوا أَوْ أَقَلُّوا مِنْ مَلَامِكُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ
 إِذَا أَرَدْتُ سُلوًا كَانَ نَاصِرِكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ

أما فرق الشيعة فلعلها أغزر الفرق المذهبية إنتاجا شعريا وهذا راجع إلى تأثيرها القوي في الحياة الفكرية الإسلامية، وتقسّم فرق الروافض من الشيعة فحسب إلى ثلاثة أقسام: (الزيدية، الكيسانية، الإمامية).

ومذاهب هذه الفرق تختلف اختلافا بينا فيما بينها، وتتراوح في قربها من المذهب السني أو في بعدها عنه إلى حد الكفر والإلحاد، كما تتباين أيضا في تأثيرها بالعناصر والأفكار الأجنبية الفارسية والهندية كالبوذية ومذهب تناسخ الأرواح والمسيحية واليهودية.

وتجمع فرق الشيعة على تعاليم معروفة منها (عصمة الأئمة واستخدام التقية والإيمان بالرجعة والمهدي المنتظر). ومن الشعراء الذين كانوا يؤمنون بالتشيع كثير عزة، وكان على مذهب الكيسانية الذين ادعوا أن محمد بن الحنفية لم يميت ومن قوله في ذلك:

ألا إنّ الأئمّة من قریش ولاة الحقّ أربعة سواء
عليّ والثلاثة من بنیه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرّ وسبط غيّته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتّى يقود الخيل يقدمها اللّواء

ويقول الأصفهاني أن كثير كان شيعيا غالبا يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقوله تعالى: (في أي صورة ما شاء ركبك)، وهو يقول ألا ترى أنه حوّله من صورة إلى صورة.

وحيثما كان بمكة أمر بلعن علي فرقي المنبر وقال:

لعن الله من يسبّ عليا وحسينا من سوقة وإمام
أيسبّ المطيبون جدودا والكرام الأخوال والأعمام
يأمن الظبي والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام
طبت بيتا وطاب أهلك أهلا أهل بيت النبي والإسلام
رحمة الله والسلام عليهم كلما قام قائم بسلام

والسيد الحميري كان على مذهب الكيسانية أيضا وهو يقر بالرجعة ومن شعره في الحسين:

أمرز على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيّة
يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويّة
فإذا مررت بقبره فأطلن به وقف المطيّة
وابك المطهر للمطهر و المطهرة الزكيّة
كباء مغولة غدت يوماً بواحدّها المنّيّة

والكسانية يؤمنون بأن ابن الحنيفة في شعب جبل رضوى تحرسه الوحوش الضارية،
وأنه سيعود ويملاً الدنيا عدلاً. وفي مذهب الكيسانية يجوز سب أصحاب الرسول وأزواجه
والطعن عليهم والسيد الحميري يصور ذلك في هذه الأبيات مُحَرِّضًا بالأمويين والسيدة عائشة:

أين التطرف بالولاء وبالهوى أ إلى الكواذب من بروق الخلب
أ إلى أمية أم إلى الشيع التي جاءت على الجمل الخدب الشوقب
تهوى من البلد الحرام فنبتت بعد الهدو كلاب أهل الحواب

وكالكيسانية كان السيد الحميري يجل عليا فيقول مثلاً:

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول

ولكن حبه لعلي لا يصل إلى حدّ المغالاة كما يفعل بعض الشيعة المتطرفين الذين أَلَّهوا علياً، وهو بالعكس يهاجمهم ومن ذلك قوله:

قوم غلوا في علي لا أبالهم وأجشموا نفساً في حبه تعبا

قالوا هو الله، جل الله خالقنا عن أن يكون ابن شيء أو يكون أبا

ويرى الدارسون أن منصور النمري كان شيعياً إلى أقصى حدّ، وقد طلبه الرشيد لقتله حين اتضحت له حقيقته، وحين سمع قصيدته التي يظهر فيها مذهبه بوضوح ويحمل على الأمويين والعباسيين جملة شعواء:

شَاءَ مَنْ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلٍ يُعَلِّونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَيَرُ جُونَ جِنَانَ الْخُلُودِ لِلْقَاتِلِ
وَبِلَكَ يَا قَاتِلَ الْحُسَيْنِ لَقَدْ نُوتَ بِحَمَلٍ يَنْوُءُ بِالْحَامِلِ
أَيَّ حِبَاءٍ حَبَوْتَ أَحْمَدَ فِي حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ الثَّائِلِ
بَأَيَّ وَجْهِ تَلْقَى النَّبِيَّ وَقَدْ دَخَلْتَ فِي قَتْلِهِ مَعَ الدَّائِلِ¹.

2- الشعر السياسي:

إن الشعر السياسي هو الشعر الذي يتناول بالنقد حيناً و بالتفريط حيناً آخر، فيتحدث عن الحكام و مخططاتهم و أعمالهم مدحاً أو ذمماً، ويشارك في بحث الحقائق السياسيّة و النزعات

1- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج.13، ص.166.

القوميّة، و يدلي برأيه في معترك الدّول و يُعبّر عن الخوارج الوطنيّة و ما يدور في صفوف الشعب من أمان سياسيّة و غايات يسعى إلي تحقيقها.

و الشعر السياسي إذًا، هو الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدّول الداخلي أو بنفوذها الخارجي و مكانتها بين الدّول.¹

❖ الشعر السياسي في العصر الجاهلي

وقد اتّصل الشعر العربي بالسياسة منذ العصر الجاهلي، حيث إنّ قبائل الجاهلية في صراعٍ مستمرّ، تتناحر فيما بينها و تتغازي من أجل الحصول علي مقومات الحياة، سواءً لبني البشر أو لأنعامهم، فيؤدّي ذلك إلي حروبٍ تدوم طويلاً، و قد لا ينحصر النزاع بين قبيلتين اثنتين، بل يتعدى إلي عدّة قبائل، فتتعدّد معها السياسة القبليّة.

و في هذه الأجواء كان الشعراء كمحاميين يزودون عن مصالح قبائلهم و سياستها. فلذا كان القبائل في الجاهلية يعتزّ بشعرائها النابغين و تحتفل بظهورهم. « و كانت القبلية من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأته، و صنعت الأُطعمة و اجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، و يتباشرون الرجال و الولدان ؛ لأتته حماية لأعراضهم، و ذبّ عن أحسابهم، و تخليد لمآثرهم، و إشادة بذكرهم، و كانوا لا يهنئون إلاً بسلامٍ يُولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرسٍ تنتج.»²

¹ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابته و نقده، ج 1، لاطا، بيروت، دار مكتبة الهلال، 2000، ص 37

² عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، لاطا، بيروت، دار المعرفة، 1981، ص 9

و من الطَّبِيعِي أن تكون فنون الشعر السياسي أو معارضه هي الحماسة، و الفخر، و الهجاء،
ثم المدح، و الوصف، و الرثاء؛ لأنَّ الشاعر البدوي لم تتكوّن عنده الأصول المذهبيّة و
النظريّات الاجتماعيّة تكوّنًا منطقيًّا يقوم علي الشرح و التعليل.

❖ الشعر السياسي في العصر الإسلامي

جاء الإسلام فزهق كثير من السنن الجاهلية، منها العصبية القبليّة و عواملها و نتائجها. فلا
بُدّ من الإشارة أنّ الدين المبين وقف من الشعراء موقفًا طبيعيًّا واضحًا، فالشعر من حيث إنّه
فن رفيع يُعدّ من مقومات الحياة، لا يحظره الإسلام، و إن نهي عن الشعر الذي يتغنى بالفسق
و الفجور و الزنا و شرب الخمر و إتيان المعاصي. و قد سمع الرسول . صلّي الله عليه و
على آله وسلّم . الشعر الرفيع و أثناب عليه كعب بن زهير ببردته، و حمل حسّان و زملاءه من
الأنصار و غيرهم علي أن يردّ و اعلي قريش و ينصروه بألسنتهم كما نصروه بأسلحتهم.¹
فجوهر الشعر السياسي في أيام النبي . صلّي الله عليه و آله و سلّم . كان هجاء الأعداء و مدح
النبي و صحبه و ذكر مآثرهم و فضائل الدين.

لم يكد عصر الراشدين يؤذن بالزوال حتّي عادت السياسة من جديدٍ تفرض نفسها علي الشعر،
فتصبح دواوينه سجلاً للمنازعات التي سادت ذلك العصر؛ و لقد كان ازدهار الشعر السياسي
في تلك الحقبة الزمنيّة ظاهرةً طبيعيّةً دعت إليها الحياة الجديدة، و ما فيها من صراع بين

¹. أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، لاطاء، مصر دار نهضة للطبع و النشر، 1979، ص 10

الأحزاب، و جهاد بين آرائها المتعددة في نظام الحكم و في الأشخاص الناهضين به، و اتّصال كلّ من هذا النّظام و هؤلاء الأشخاص بالدين الذي هو أساس الحكم عند المسلمين.

و لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما ذهبنا إلي أنّ الأدب السياسي الذي أثمره الصراع في العصر الأموي أضخم تراثٍ سياسيٍّ في الأدب العربي منذ نشأته إلي العصر الحديث.

في هذا العصر ظهرت أحزاب سياسيّة و من الطبيعي أن كانت الأحزاب مصبوغة بصبغ سياسيٍّ خالصٍ خالٍ من المناهج الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و التعليميّة، لأنّ أحوال العصر و المجتمع هي التي أملت عليها ذلك.

علي أنها كانت تمزج السياسة بالدين لأنّ محورها الذي تدور حوله هو الخلافة، و هي منصب سياسيٍّ دينيٍّ، و لأنّ نظام الحكم كان قائماً علي الدين، يعتمد عليه، و يستمدّ منه أحكامه و سلطانه.

و رسالة الشعر السياسي هي مسايرة هذه الدولة في تكوينها الداخلي، و سلطانها الخارجي و حروبها الأهليّة، و أحزابها السياسيّة.¹

❖ الشعر السياسي في العصر العباسي

إن الصراع العنيف الذي عرفه العصر الأموي بين الأحزاب السياسيّة و الفئات المتحاربة أدّى إلي استتباب الأمر لبني أميّة فترة من الزمن، و إلي ضعف « حزب الخوارج » و « حزب

¹. أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلي منتصف القرن الثاني، ط: 5، بيروت، دارالعلم، 1976، ص 273.

الزبيريين « في نهاية القرن الأول للهجرة. أمّا الشيعة فلم يتوقفوا عن الجهاد في سبيل استرداد الخلافة من بني أمية ؛ و قد ساعدهم في ذلك فريقان: العباسيون و الفرس، حتّى تسلّم الحكم بنو العباس، و من اقتسام النفوذ بين الفرس و العباسيين ازدهرت الشعوبية، و صارت المسألة لاجحة و أدت إلى ازدياد العرب عند الشعوبية؛ و هذا الحزب ساعد علي الإيرانيين في حياة المسلمين أولاً ثمّ إقامة الدولة الفارسية أخيراً. و سيتمر الصراع فيقف جماعةً من الشعراء العرب موقف المعتزّ بالعنصر العربي، المدافع عن قيمة المتوازنة و عاداته و تقاليدته من أمثال «البحتري» و «أبي فراس» و «المتنبّي»¹.

المحاضرة رقم 06:

شعر المديح النبوي

تمهيد :

¹ يوسف الصائغ، الشعر الحرّ في العراق منذ نشأته حتى 1985، لاطا، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، 1978، ص 74 .

المديح النبوي هو نوع من الشعر العربي الذي يهتم بمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتبر من أهم أنواع الشعر العربي. يعود تاريخ المديح النبوي إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يمدحون النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائدهم.

تعريف المديح النبوي :

المديح النبوي هو شعر يهتم بمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويتضمن صفاته الحميدة وأخلاقه الكريمة. يهدف المديح النبوي إلى تعزيز حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قلوب المسلمين، وتذكيرهم بفضائله وأخلاقه.¹

تاريخ المديح النبوي :

يعود تاريخ المديح النبوي إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يمدحون النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائدهم. ومن أشهر شعراء المديح النبوي في العصر الإسلامي الأول:²

- حسان بن ثابت: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي الأول، وكان يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائده.

- كعب بن زهير: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي الأول، وكان يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائده.

¹ عبد العزيز شرف ، الأدب العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة القاهرة ، ص 150 .

² محمد بن سعيد بن حماد ، البوصيري ، دار الفكر ، بيروت ، ص 100

خصائص المديح النبوي:

يتميز المديح النبوي بعدة خصائص، منها:¹

- اللغة: يتميز المديح النبوي باللغة العربية الفصيحة، التي تعبر عن جمال وروعة الشعر.
- الموضوع: يتميز المديح النبوي بالموضوع الواحد، وهو مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
- الأسلوب: يتميز المديح النبوي بالأسلوب الرقيق والجميل، الذي يعبر عن حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

من أشهر شعراء المديح النبوي:

من أشهر الشعراء في المديح النبوي :²

- البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد، شاعر عربي مشهور، عرف بشعره الصوفي والمدح.
- 2. ابن نباتة المصري: هو محمد بن محمد بن نباتة، شاعر عربي مشهور، عرف بشعره الشعبي والعامي.
- 3. حسان بن ثابت: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي الأول، وكان يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائده.

¹ عبد الله عبد الجبار ، الشعر العربي في العصر الاسلامي ، دار الفكر ، بيروت ، ص 120.

² محمود محمد شاكر ، تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 202 .

4. كعب بن زهير: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي الأول، وكان يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائده.

المدح النبوي هو نوع من الشعر العربي الذي يهتم بمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتبر من أهم أنواع الشعر العربي. يعود تاريخ المدح النبوي إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يمدحون النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصائدهم.

المحاضرة رقم 07:

الشعر الصوفي

يعتبر التصوف نقلة نوعية في تاريخ الأندلس، ولقد ظهر الزهد في وقت مبكر في الأندلس ونال شهرة واسعة، وكان له مكانة عالية في الثقافة الأندلسية، وسنتناول في هذا المقال مفهوم

التصوف، وظهور التصوف في العصر الأندلسي، وتوضيح الشعر الصوفي وذكر مميزات الشعر الصوفي واشهر متصوفي الشعر الأندلسي.

1/تعريف التصوف

اختلف الجميع في تعريف التصوف، فكل شخص عرفه بطريقته الخاصة التي كانت تتشابه مع تعريف الآخرين تارة وتختلف تارة أخرى.

ومفهوم التصوف قال فيه البعض بأنه هو المشي في طريق الزهد، والابتعاد عن ملهيات الحياة بكافة أشكالها، والزيادة في العبادة والتقرب إلى الله، وترك كل لذات الحياة والشعور بالجوع، والسهر من أجل التعب كالصلاة وقراءة القرآن الكريم.

2/ظهور التصوف في العصر الاندلسي

كان للثراء والغنى والترف وحياة الرفاهية أثر كبير في ظهور التصوف في الأندلس وانتشرت هذه الظاهرة في الشعر الأندلسي، وتفق في هذا المجال شعراء الأندلس وتغلبوا فيه على شعراء المشرق، ومن الملفت للانتباه أن بغض شعراء الأندلس تابوا وعادوا إلى الله بعد فترة طويلة من اللهو والعبث، واستخدموا ابياتهم الشعرية لطلب المغفرة والعفو من الله وكسب مرضاته، ومن أشهر هؤلاء الشعراء في هذا ابن حمديس، والغزال، وابن عبد ربه ويقول في هذا:

إن الذين اشتروا دنيا بأخرة وشقوة بنعيم ساء ما تجروا

يامن تلهي وشيب الرأس يندبه ماذا الذي بعد وخط الشيب تنتظر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجر

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور شعر التصوف، ما حلّ بالأندلس وخصوصًا بعد هجوم جيوش النصارى عليهم، وإحساسهم بأن الإسلام ضاع في الأندلس، فاستعانوا بالشعر واستغاثوا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

3/الشعر الصوفي في الأندلس:

إن الشعر الصوفي من أروع وأشهر أنواع الشعر الذي نظم فيه شعراء الأندلس، رغم أنه يتطلب للعديد من العلم والاطلاع كي يتمكن الشخص من فهمه، ويتميز شعر التصوف بكثرة المعاني المعبرة، وكما أنه يضع الإنسان في حالة من الحب والسلام النفسي، وانتشر في الأندلس العديد من المذاهب، ولكن سيطر المذهب المالكي على الأندلس في ذلك العصر.

ورغم ذلك فلقد كان الحكام والملوك يتوجهون إلى الزهد والتقشف، وترك ملذات الحياة واتصفوا بالزهد والتصوف، والعدل وغيرها من عادات التصوف، مثل: محمد الأول ومحمد الثاني ومحمد الخامس، وغيرهم من الحكام.

كما انتشر التصوف بين أفراد المجتمع الأندلسي عامة، فأصبحت الصوفية طبقة اجتماعية من طبقات المجتمع الأندلسي، وكان لها دور كبير في إدارة أمور الدولة، وخصص لها أماكن خاصة كانت تقام فيه أمور التصوف وكانت تسمى هذه الأماكن بالزوايا أو الأربطة وكانت

قائمة على الزهد والتقشف والعبادة والدراسة، ومن أشهر هذه الأربطة رابطة العقاب ومن أشهر سكانها علي بن عبد الله الششتري.

4/مميزات الشعر الصوفي في الأندلس:

تفرد وتميز الشعر الصوفي بكثير من الخصائص الخاصة التي ميزته عن باقي أنواع الشعر ومن هذه المميزات:

1- تناول الشعر الكلمات التي تدل على أمور خاصة بالتصوف.

2- تناولهم المفردات الحسيّة وتوظيفها في شعر التصوف لتعبّر عن أمور روحية.

3- طمس المعاني الحقيقية للمفردات، وكانت من الأسس المهمة عند الصوفية عدم الكشف عن المعرفة الربانية التي أعطاهم إياها الله.

5/أشهر متصوفي الشعر الأندلسي:

الشاعر أبو البقاء صالح بن يزيد الرندي قد تناول في قصائده شعر التصوف بشكل واسع وتفنن في ذلك، ومن قصائده في الصوفية ما يلي:

يا سالم القلب مني عندما رمقا لم يبق حبك صبرا ولا رمقا
لا تسأل اليوم عما كابدت كبدي لبيت الفراق وليت الحب ما خلقا

ما باختياري ذقت الحب ثانية
وكننت في كلفي الداعي إلى تفتي
يامن تجلى إلى سري فصيرني
انظر إلي فإن النفس قد تفتت
وإنما جارت الأقدار فاتفقا
مثل الفراش احب النار فاحترقا
دكا وهز فؤادي عندما صعقا
وارفق علي فإن الروح قد زهقا

ومن قصائده أيضًا قصيدته التي قالها في تنازل ابن الأحمر عن قلاع ومدن الأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتمًا كل سابعة
إذا نبت مشرفيات وخرسان

والشاعر ابن الجياب حيث يقول في قصيدته:

الحمد لله على ما منحا
من أنعم تترى أصيلا وضحي
كم نعمة أسبغها تفضلا
منه وكم قرب ما قد نزحا

أرجو كما أنعم فيما قد مضى لعله فيما بقي أن يسمحا
إن لم أكن أهلا لما آمله فالله أهل أن يتم المنحا

ابن زمرك الذي تناول في قصائده الصوفية دور الطبيعة في هذا الشعر حيث يقول:

ولله مبناه الجميل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم غيه للأبصار من متنتزه تجد به نفس الحليم الأمانيا
تبيت له خمس الثريا معيدة ويصبح معتل النواسم راقيا

6/الشعر الديني في العصر الأندلسي:

كما انتشر الشعر الديني في العصر الأندلسي وكان يتكون من أربعة أنواع:

1- ما عرف بشعر التصوف والمتصوفة.

2- النوع الثاني وهو كل ما صدر عن الشاعر الصوفي من الحالات الروحية المختلفة مثل: التوبة والاستغفار والرجوع الى الله.

3- ما عرف بشعر التوسل الخالص لله، ومديح للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

4- الشعر الذي نظم في المولد النبوي وكان يسمى هذا الشعر في العصر الأندلسي المولديات أو العيديات.

وعبر شعراء الزهد والتصوف عن مشاعرهم وقوة ايمانهم بأسلوب صادق وقوي واستخدموا الموشحات والزجل في ذلك، ومثال على ذلك ما قاله محيي الدين بن عربي:

سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناظرين...

والعاشق الغيران من ذاك في حران يبدي الأنين...

يقول والوجد أضناه والبعد قد حيره...

لما دنا البعد لم أدر من بعد قد غيره...

وهيم العبد والواحد الفرد قد خيره...

وكمثله من أنواع الأدب لقد تطرق الشعر الصوفي إلى الغزل متأثرًا بشعراء المشاركة والشعراء
القدماء فقد كان يبدأ القصيدة الصوفية بمفردات الغزل كما في شعر المديح النبوي ومثال على
ذلك ما قاله ابن عربي:

عج بالركائب نحو برقة تهد حيث القضيب الرطب والروض الندي
حيث البروق بها تريك وميضها حيث السحاب بها يروح ويغتدي
وارفع صويتك بالسحير مناديا بالبيض والغيد الحسان الخرد
من كل فاتكة بطرف أحور من كل ثانية بجيد أغيد
ترنو إذا لحظت بمقلة شادن يعزى لمقلتها سواد الإثمد

شعر النكبات والمحن (رثاء المدن والممالك الزائلة)

شعر النكبات والمحن هو نوع من الشعر العربي الذي يهتم برثاء المدن والممالك الزائلة، ويعتبر من أهم أنواع الشعر العربي. يعود تاريخ شعر النكبات والمحن إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يرثون المدن والممالك التي سقطت تحت الاحتلال أو دمرت بسبب الحروب.

1- تاريخ شعر النكبات والمحن :

يعود تاريخ شعر النكبات والمحن إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يرثون المدن والممالك التي سقطت تحت الاحتلال أو دمرت بسبب الحروب. ومن أشهر شعراء شعر النكبات والمحن:¹

- أبو البقاء الرندي: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي، وكان يرثي المدن والممالك الزائلة في قصائده.

- ابن زيدون: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي، وكان يرثي المدن والممالك الزائلة في قصائده.

¹ عبد الله الجبار ، الشعر العربي الاسلامي ، دار الفكر ، بيروت ، ص 150

2- تعريف شعر النكبات والمحن :

شعر النكبات والمحن هو شعر يهتم برثاء المدن والممالك الزائلة، ويتضمن وصفًا لحالها قبل السقوط وأسباب سقوطها. يهدف شعر النكبات والمحن إلى تعزيز الشعور بالحزن والأسى لدى الناس، وتذكيرهم بأهمية الحفاظ على المدن والممالك.¹

تعريف أخرى لشعر النكبات والمحن :

- شعر النكبات والمحن هو شعر يهتم بوصف الأحداث الكارثية التي تصيب المدن والممالك، ويتضمن وصفًا لحال الناس في تلك الأحداث.

- شعر النكبات والمحن هو شعر يهتم برثاء المدن والممالك الزائلة، ويتضمن وصفًا لأهمية تلك المدن والممالك في التاريخ.

أهم شعراء شعر النكبات والمحن:

لقد برز في شعر النكبات و المحن عدة شعراء من أهمهم :²

- أبو البقاء الرندي: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي، وكان يرثي المدن والممالك الزائلة في قصائده.

¹ عبد العزيز شرف ، الأدب العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص 180

² عبد العزيز شرف ، الأدب العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص 200 .

- ابن زيدون: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي، وكان يرثي المدن والممالك الزائلة في قصائده.

- أبو تمام: كان شاعرًا مشهورًا في العصر الإسلامي، وكان يرثي المدن والممالك الزائلة في قصائده.

3- خصائص شعر النكبات والمحن :

يتميز شعر النكبات والمحن بعدة خصائص، منها:

- اللغة: يتميز شعر النكبات والمحن باللغة العربية الفصيحة، التي تعبر عن جمال وروعة الشعر.

- الموضوع: يتميز شعر النكبات والمحن بالموضوع الواحد، وهو رثاء المدن والممالك الزائلة.

- الأسلوب: يتميز شعر النكبات والمحن بالأسلوب الحزين والأسى، الذي يعبر عن حزن الشاعر على سقوط المدن والممالك.

هذا مثال عن شعر النكبات و المحن الذي شاعره أبي البقاء الرندي و هو شاعر أندلسي

عاش في القرن السابع الهجري و يعتبر من أشهر شعراء الرثاء في الأدب العربي :

"ألا يا قلبُ هل لك في الرضا بما قدّره الله من القضا؟"

فلا الباقي يُغني عن الفاني ولا الدنيا تدوم على أحدٍ سوى"

شعر النكبات والمحن هو نوع من الشعر العربي الذي يهتم برثاء المدن والممالك الزائلة، ويعتبر من أهم أنواع الشعر العربي. يعود تاريخ شعر النكبات والمحن إلى العصر الإسلامي الأول، حيث كان الشعراء يرثون المدن والممالك التي سقطت تحت الاحتلال أو دمرت بسبب الحروب.

المحاضرة رقم 09:

بنية القصيدة وخصائصها الفنية

القصيدة هي وحدة أدبية تتكون من مجموعة أبيات شعرية تتناول موضوعاً معيناً وتتميز بخصائص فنية وجمالية تجعلها قطعة أدبية متميزة. في هذه المحاضرة، سنتناول بنية القصيدة وخصائصها الفنية بتفصيل معمق.

يتكلم سليمان العطار عن بنية قصيدة امرئ القيس وتكلمه عن الليل ثم الانتقال الى الناقة: " ويضيف الليل على اتساعه و طوله عندما تصبح همومه هموما اجتماعية تتكاثف على كاهل الفرد... ولا بد من همة عالية للنفاد(الخروج) من هذا الهم، وللخروج من الليل وجوف العير، وتتمثل هذه الهمة في جواد فوق طبيعي (اي غير طبيعي) وقبلهما رأينا امرئ القيس ان امسى مكروبا(حزينا) يركب فرسه القوية السريعة فتزيل همه و تشفي غليله في الاغارة على اعدائه".

- عبد الله الفيبي كاتب سعودي في كتابه مفاتيح القصيدة الجاهلية حاول أن يدرس المعلقات العشر وحاول ان يأخذ بالروايات للرواة القدامى مثل: المفضل الطبي، أبي حماد الرواية، والتبريزي.

وكان تدرج موضوعات المعلقات في كل من:

- امرئ القيس: الاطلال، المرأة، الليل، الفرس، البرق، السحاب.
- طرفة بن العبد: الاطلال، المرأة، الناقة، المفاخرة، فلسفته في الحياة.

- الحارث بن حلزة: رحيل اسماء، نار هند، الناقة، الحوادث و المفاخر.
- عمر بن كلثوم: الخمر، الظغن، المرأة، عمرو بن هند والفخر عليه.
- عبيدة بن الابرص: الاطلال، حكمة الفراق، الناقة، الفرس.
- عنتر بن شداد: الطلل، عبلة، الناقة، مدح واعتزاز، المفاخر.
- النابغة الذبياني: الاطلال، الناقة، مدح واعتزاز.
- زهير بن ابي سلمى: الاطلال، الظغائن، الاصلاح، الحكمة.
- الاعشى: وداع هريرة، المطر، الناقة و القوة، تهديد.
- لبيد بن ربيعة: الاطلال نوار، الناقة.

ركزنا على موضوعاتها لكي نلتصق بالبنية العميقة و البنية السطحية للنظر إليها بنوع من التجريد و الابتعاد عن السطحيات و النظر للدلالات، فمثلاً:

الطلل (دال) مدلولها (حنين الى الوطن، تساؤلات للمجهول...)

الطلل (دال)	مدلول	كم ذكر مرة في المعلقات.
الاطلال	الفقد	7 مرات
المرأة و الضغن	الانثى	9 مرات
الليل و الصحراء	الهم	مرة واحدة

7 مرات	الخلاص	الناقة و الفرس
مرتان	الامل	المطر و البرق و السحاب
مرة واحدة	اللذة	الخمير

الطاقة الاشارية والرمزية : قدرة القصيدة على التعبير عن احساس الانسان بالزمن و نظرتة الى الكون و الحياة و الوجود، وعبرت عن الاحلام الطوباوية(احلام صعبة التحقيق) الى واقع آخر الى حياة آمنة عبر هذه المتتالية (متتالية امرئ القيس)

الفقد أنثى هم الخلاص الامل.

التخلص : هو الانتقال من المقدمة الغزلية الى ما يسمى بالموضوع الاصلي، وهو الجسر الذي ينتقل فيه الشاعر من المقدمة الى الموضوع الاصلي، ويشترط النقاد ان يكون هذا الانتقال ذكيا بحيث لا يحس القارئ بالقطعة و الفجوة وهو ما يسمونه ب "حسن التخلص" ومدحوا زهيراً في مثل قوله:

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم

فزهير له أساليب ذكية في الانتقال من عنصر إلى آخر و نجد ذلك في قوله في صد صاحبتة وهجره:

فَصَرِّمَ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّمَتْهُ وَعَادَى أَنْ تُلَاقِيَهَا الْعِدَاءُ

الخاتمة : لاحظ القدماء أن خاتمة القصيدة لها أثر و وقع مهم في النفس لأنه آخر ما يسمعه القارئ لتبقى في ذهنه، واشترطوا أن تكون في الشعر الجاهلي كثير من النهايات الجميلة التي لها معنى ، فوجد النقاد أعجبوا بكثير منها: قول تأبط شرا:

لا تفز عن علي السلم من ندم اذا تذكرت يوما بعض أخلاق

وكثيرا ما يختم الشعراء قصائدهم بحكمة كملخص لتجاربهم كقول امرؤ القيس:

ألا ان بعد العدم للمرء غنمة وبعد المشيب طول عمرو ملبس.

و أوجز "البيد" في نهاية احدى قصائده فقال:

وان اخوانا لناقد تتابعوا لك المقتدى والرائع المتهجر

هل النفس الا متعة مستعارة تعار فتأتي ريبها فرط أشهر القصيدة

تتكون القصيدة من عدة عناصر أساسية، وهي:¹

- **المقدمة:** وهي الجزء الأول من القصيدة، وتحتوي على تمهيد للموضوع الرئيسي. يمكن أن

تكون المقدمة قصيرة أو طويلة، حسب طبيعة الموضوع والغرض من القصيدة.

¹ محمود محمد شاكر، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ص 250.

- **الموضوع الرئيسي:** وهو الجزء الرئيسي من القصيدة، ويتناول الموضوع الذي تريد القصيدة التعبير عنه. يمكن أن يكون الموضوع الرئيسي معقدًا أو بسيطًا، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

- **الخاتمة:** وهي الجزء الأخير من القصيدة، وتحتوي على تلخيص للموضوع الرئيسي وتأكيد على الفكرة الرئيسية.

❖ الخصائص الفنية للقصيدة العربية القديمة:

تتميز القصيدة بعدة خصائص فنية، وهي:¹

- **الوزن:** وهو النظام الذي يحدد إيقاع القصيدة، ويتكون من مجموعة من التفاعيل التي تحدد طول وقصر الأبيات. يمكن أن يكون الوزن متنوعًا، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

- **القافية:** وهي الحرف الأخير من البيت الشعري، وتحدد إيقاع القصيدة وتجعلها أكثر جمالًا. يمكن أن تكون القافية متنوعة، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

- **اللغة:** وهي الأداة التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره ومشاعره، وتتميز بالجمال والروعة. يمكن أن تكون اللغة بسيطة أو معقدة، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

- **الصورة الشعرية:** وهي الصورة التي يرسمها الشاعر في ذهن القارئ، وتتميز بالجمال والروعة.

¹ (عبد الله عبد الجبار، الشعر العربي في العصر الإسلامي، دار الفكر، بيروت، ص 150.

❖ أنواع القصائد :

توجد عدة أنواع من القصائد، وهي:¹

- **القصيدة الغزلية:** وهي القصيدة التي تتناول موضوع الحب والغزل. يمكن أن تكون القصيدة الغزلية رومانسية أو واقعية، حسب طبيعة الشاعر والغرض من القصيدة.

- **القصيدة الرثائية:** وهي القصيدة التي تتناول موضوع الرثاء والحداد. يمكن أن تكون القصيدة الرثائية حزينة أو مؤثرة، حسب طبيعة الشاعر والغرض من القصيدة.

- **القصيدة الهجائية:** وهي القصيدة التي تتناول موضوع الهجاء والذم. يمكن أن تكون القصيدة الهجائية ساخرة أو جادة، حسب طبيعة الشاعر والغرض من القصيدة.

القصيدة والشاعر :

القصيدة هي تعبير عن أفكار ومشاعر الشاعر، وتتميز بالخصوصية والتميز. يمكن أن تكون القصيدة مرآة للشاعر، تعكس أفكاره ومشاعره وخبراته.

- **الشاعر والموضوع:** يمكن أن يكون الشاعر موضوعيًا أو ذاتيًا، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

- **الشاعر واللغة:** يمكن أن يكون الشاعر مبدعًا في استخدام اللغة، أو يمكن أن يكون مقيدًا بالتقاليد الشعرية.

¹ حمد بن سعيد بن حماد، البوصيري، دار الفكر، بيروت، ص 120.

- الشاعر والقارئ: يمكن أن يكون الشاعر مت الشاعر قريبًا من القارئ، أو يمكن أن يكون بعيدًا عنه، حسب طبيعة القصيدة والغرض منها.

الخاتمة :

القصيدة هي وحدة أدبية تتكون من مجموعة أبيات شعرية تتناول موضوعًا معينًا، وتتميز بخصائص فنية وجمالية تجعلها قطعة أدبية متميزة. في هذه المحاضرة، تناولنا بنية القصيدة وخصائصها الفنية بتفصيل معمق.

النثرية العربية القديمة: الخطابة في العصر الأموي

إنّ بلاغة النثر في العصر الأموي اتسمت بمميزات البلاغة العربية القديمة في فترة الجاهلية؛ وذلك أن الخطباء كانوا يضمنون خطبهم الأشعار القديمة ويزينونها بالأمثال والحكم، وبعد ظهور الإسلام اكتسب نثرهم أساليب قرآنية لأنهم اقتبسوا منه لتأثرهم ببلاغته ولما انفتح المسلمون على الأمم المجاورة كالفرس مثلاً أو الروم؛ اختلفت أساليب الكتابة وذلك لأنها كانت في يد الموالي من الفُرس، ومن بين أعلام الكتاب "عبد الحميد بن يحيى الكاتب" الذي اتخذ الإطناب والازدواج أسلوباً له في الكتابة بدل الإيجاز الذي كان العرب يفضلونه، وكان هناك كاتباً آخر عرف بترجمته للكتب من لغته الفارسية إلى العربية؛ وهذا ما أدى إلى ثراء الأدب العربي، وابن المقفع من أئمة كتاب عصره، أخذ عن العرب الإيجاز وعن الفرس تقاليد الكتابة، وكان له أثر كبير على الكتاب الذين أتوا من بعده مثل الجاحظ وابن العميد وهم من كتاب عصر بني العباس .

الخطابة في العصر الأموي:

ازدهرت الخطابة في هذا العصر، وقد عملت في هذا الازدهار، وهيات له أسباب مختلفة، منها السياسي، ومنها الديني، ومنها العقلي، أما من حيث السياسة، فقد كثرت الأحزاب

السياسية المعارضة لبني أمية، وكثر مشعلو الفتن والحروب الداخلية. ومعروف أن الدولة الأموية قامت على أنقاض فتنة عثمان، وما انتهت إليه من حروب صفين بين علي ومعاوية، وبمجرد أن قبل علي التحكيم خرج عليه فريق من جيشه سمي الخوارج، وشهروا سيوفهم في وجهه، وعبثا حاول العودة بهم إلى صفوفه، فحاربهم وتصدى له أحدهم فقتله وخلص الأمر لمعاوية وخلفائه من بني أمية، فظل هؤلاء الخوارج ينازلونهم، ويعدون دار المسلمين دار حرب، فيجب أن يجاهدوهم، إذ جعلوا الخلافة في قريش، وهي ليست حقا من حقوقها وإنما هي حق لله، وينبغي أن يليها من يستحقها بمشورة المسلمين، وأن يكون خيرهم تقوى وزهدا وورعًا، ولو لم يكن قريشا، بل لو كان عبدا حبشيا. وقد تعددت فرقهم، وأهمها الأزارقة في فارس، والنجادات في اليمامة وحضرموت والبحرين، والصفرية في الموصل وشمالى العراق، والإباضية في اليمن وحضرموت.

ولا نتقدم إلى عصر يزيد بن معاوية حتى يرسل شيعة علي إلى ابنه الحسين أن يفد عليهم في الكوفة لمبايعة، وإعلان الثورة على بني أمية وصاحبهم يزيد، وما يكاد يلم بالعراق حتى يقعدوا عن نصرته، فيسفك دمه، ويندمون على ما كان من تضييعه، ويتجهون إلى الدعوة السرية لأبناء علي، ومن حين إلى حين تنشب ثوراتهم، ولعل أهمها ثورة المختار الثقفي لعهد مصعب بن الزبير، ثم ثورة زيد بن علي بن الحسين لعهد هشام بن عبد الملك، وقضى الأمويون على الثورة الأخيرة بينما قضى مصعب على ثورة المختار، وكان هذا الحزب الشيعي يؤمن بأن الخلافة من حق أبناء علي فهم ورثة الرسول صلى الله عليه و[آله]وسلم وهم لذلك ورثتها الشرعيون، وقد ذهبوا إلى أن إمامة علي نص عليها الرسول، ومن هنا تأتي عقيدة الوصية التي

يدين بها الشيعة جميعاً، كما يدينون بعقيدة المهدي، وهو الإمام المنتظر الذي يخلص العالم مما فيه من شرور، وأسباب مختلفة جعلت الفرس يدخلون في هذه العقيدة، إذ كانوا قبل الإسلام يؤمنون بتوارث الملك في أسرة بعينها، على هذا القياس يصبح أحق الأسر القرشية بالملك العربي بني هاشم، وأبناء علي خاصة، فهم أقرب الناس إلى الرسول، وأيضاً فإن علياً كان يسوي بينهم، وبين العرب في الحقوق بينما كان يضطهدهم الأمويون وولاتهم، ولعل شيئاً من تشيعهم يرجع إلى كرههم لمن غلبوهم على بلادهم، وكأنما رأوا فيه ضرباً من المقاومة لهؤلاء الغالبين.

وبجانب الحزبين السابقين، حزبي الشيعة والخوارج، توالى الثورات على بني أمية، فثار عبد الله بن الزبير في الحجاز أثناء خلافة يزيد، واستقل بها نحو عشر سنوات، وتبعته العراق ومصر، إلا أن عبد الملك بن مروان استطاع القضاء عليه، وثار في العراق وإيران عبد الرحمن بن الأشعث، ودوخ الحجاج طويلاً قبل أن يقضي على ثورته. وفي أوائل القرن الثاني للهجرة ثار بالعراق أيضاً يزيد بن المهلب، وكان مصيره ابن الأشعث، ولا نصل إلى أواخر هذا العصر حتى يجمع أمرهم في خراسان، ويؤلفوا جيشاً يقضون به على الدولة الأموية قضاءً مبرماً.

وهذه الأحزاب والثورات لم تكن تستعين في انتفاضها على الأمويين بالسيوف فحسب، بل كانت تستعين بالخطب والخطباء يدعون لها، ويحمسون الناس على الانفضاض عن بني أمية، ومن المهم أن نعرف أن السياسة على السنة هؤلاء الخطباء كانت تقترن بالدين لسبب بسيط، وهو أن

ال خليفة عند المسلمين يعد إمامهم الذي تنتظم به مصالحهم، وقواعد ملتهم على مقتضى الشريعة الإسلامية.

وبجانب هذا السبب السياسي الذي دلح الخطابة، وسعر بها الفتن والثورات على الأميين سبب ديني خالص، إذ أسست في كل بلد إسلامي مدرسة دينية تعلم الناس أصول دينهم وفروعه، وكان العلماء القائمون عليها كثيرًا ما يختلفون، فيتحاورون في وجهات نظرهم . ولم تلبث أن انبثقت أبحاث كثيرة، ومناقشات طويلة في القدر، وإرادة الإنسان ومدى حريته، وفي الإيمان وهل من الضروري له أن يرافقه العمل، وفي صفات الله وهل هي عين الذات الإلهية، وسرعان ما ظهرت فرق الجبرية والقدرية والمرجئة، فكان ذلك باعثا على ظهور المناظرات، وهي فرع مهم من فروع الخطابة.

أنواع الخطب في العصر الاموي:

ارتقت الخطابة رقيا بعيدا في العصر الأموي، ونشطت نشاطا لعل العرب لم يعرفوه في عصر من عصورهم الوسيطة، إذ اتخذوها أدواتهم للظفر في آرائهم السياسية، والانتصار في مجادلاتهم المذهبية، وعولوا عليها في قصصهم ومواعظهم، وفي وفادتهم على الخلفاء والولاء. ومن ثم أئعت فيها فروع ثلاثة، هي الخطابة السياسية، وخطابة المحافل والخطابة الدينية، ونلم بكل فرع من هذه الفروع إمامة قصيرة.

1-الخطابة السياسية:

كان كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه، وبيان نظريته السياسية، واستمالة الناس إليها، وكذلك كان يصنع الثائرون على بني أمية من أمثال يزيد بن المهلب في تحريك الناس إلى الثورة عليهم، وكأنما قامت عندهم جميعا بما تقوم به الصحافة في عصرنا من الدعاية للأراء السياسية، فانبرى خطباء كل حزب يدعون إلى نظرية حزبهم، وبيان أنهم على الحق وخصومهم على الباطل، فهم الجديرون بأن يعتنق الناس مبادئهم ويزودوا عنها نوذاً.

وكان الخوارج يصفون بني أمية بجورهم في الأحكام وتعطيهم حدود الله، ويتناولونهم بالسنة حداد، وقد يضيفون إلى ذلك مواعظ تصور عمق تدينهم، وتمسكهم بالعروة الوثقى ومن أشهر خطبائهم قطري بن الفجاءة، وتحفظ كتب الأدب له بموعظة رائعة ومن خطبائهم أبو حمزة الخارجي، وقد روى الجاحظ خطبة طويلة ألقاها في أهل مكة ، وهو يفتتحها بالحدث عن رسول الله وهديه، واقتداء أبي بكر وعمر به، أما عثمان فعنده أنه أتى بما أحبط به الأوائل، وأما علي فلم يبلغ -في رأيه- من الحق قصداً، ثم اقتص خلفاء بني أمية خليفة يثلبه، إلا عمر بن عبد العزيز فإنه أعرض منه، ونراه ينحى باللائمة على من يتشيعون لآل البيت، ثم يصف أصحابه، ونضالهم دون عقيدتهم وصفا رائعا، ومن خطباء الخوارج المشهورين زيد بن جندب خطيب الأزارقة وابن صديقه، وكان صفريا ناسكا وشبيل بن عزرة الضبعي، وعمران بن حطان، وحبيب بن حذرة الهلالي، والمقطل وعبيدة بن هلال اليشكري ، ومنهم

الضحاك بن قيس ونصر بن ملحان ، وعبد الله بن يحيى طالب الحق والطرماح، وغيرهم كثير.

ولا يقل خطباء الشيعة كثرة عن خطباء الخوارج، ومن أشهرهم الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين وزيد بن علي، والمختار الثقفي وسليمان بن سرد، وعبد الله بن مطيع وعبيد الله المري، ومنهم بنو صوحان: صعصعة وزيد وسيحان، وكانوا يكثر من القدح في بني أمية، وأنهم اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين ورثة النبوة، وحملة الرسالة القدسية الهادية المهديين، والأئمة المنتظرين.

ولم تطل مدة عبد الله بن الزبير، ومع ذلك فقد ملأ دفاتر العلماء كلامًا، وكان أخوه مصعب وإليه على العراق خطيبًا مفوهاً، وله خطبة جعلها كلها آيات قرآنية ، وكان حول ابن الأشعث كثير من الخطباء، وكان يزيد بن المهلب خطيبًا مفوهاً، وقد روى الجاحظ بعض خطبه.

وكان يقف في الصف المقابل من خطباء الأحزاب، والثورات خطباء بني أمية يدعون الناس إلى التمسك بحبل الجماعة، وتأييد الأمويين في حقوقهم التي اكتسبوها عن آبائهم، وتقديمهم لهم فروض الطاعة والولاء، وكثيرًا ما يخلطون ذلك بالترهيب والترغيب، وقد يشيرون إلى مقتل عثمان، وأن الأمويين أولياء دمه وورثة خلافته، ولهم مواعظ لا نشك في أنهم قالوها في صلاة الجمعة، والعديد ككثير مما روي عن زياد والحجاج، وعن بعض خلفائهم وخاصة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد المشهور، وأكثر خلفائهم كان خطيبًا، ولهم خطب تدور في كتب الأدب والتاريخ، ومن خطبائهم بجانب من قدمنا عتبة بن أبي سفيان، والي معاوية على مصر

وعبيد الله بن زياد، وخالد بن عبد الله القسري، ويوسف ابن عمر الثقفي وسعيد بن العاص وابنه عمرو الأشدق، ومن قوادهم الخطباء موسى بن نصير، وطارق بن زياد اللذان فتحا الأندلس، وقتيبة بن مسلم ونصر بن سيار، فاتح التركستان.

وعلى هذا النحو كان لكل حزب خطباؤه الذين يذودون عنه، وينافحون عن مبادئه، ولم يكن هناك داع لفكرة، أو لنضال في حرب لا يقف في الناس خطيباً، وقد بعث ذلك على نهضة الخطابة السياسية في هذا العصر نهضة واسعة، ولعل هذه النهضة هي التي جعلت المؤرخين حين يعرضون علينا الآراء السياسية، أو المذهبية لزعماء هذا العصر يعرضونها علينا في شكل خطب، على نحو ما نجد في الطبري وابن الأثير، فهم إذا أرادوا أن يعرضوا علينا رأياً للحسين بن علي، أو لحفيده زيد أو لأي داع شيعي أو خارجي، أو أي ثائر زبيري وغير زبيري، أو لأي وال أموي أو قائد يقود الجيوش عرضوه في صورة خطبة، فهم لا يقولون: إن فلانا كان يرى كذا أو كذا، وإنما يقولون خطب فلان فقال كذا وكذا، فهم لا يتصورون صاحب نحلة سياسية يعرض رأيه في شكل حديث، بل لا بد أن يعرضه في شكل خطبة يقرع بها الأسماع، ويجذب القلوب.

2-خطابة المحافل:

نمت الخطابة الحفلية في هذا العصر بحكم نمو السلطان العربي، فكانت الرجال والوفود تقدم على الخلفاء والولاة لأغراض مختلفة: للشكوى أو للاستمناح، أو للتهذئة أو للتعزية أو للموعظة، أو لغير ذلك من الأغراض، وقد روي في كتب الأدب كثير من أخباره هذه الوفادات،

وممن قد على معاوية النخار بن أوس العذري، وعمرو بن سعيد الأشدق ، وزرعة بن ضمرة، وهو الذي كان يقال فيه: "لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب"، وكان ابنه النعمان من أخطب الناس، وقد وقع في يد الحجاج بعد قضائه على ثورة ابن الأشعث فتخلص منه بكلام لطيف. وممن وفد على معاوية روح بن زنباع، وصحار العبدي، ويروى أن معاوية قال له: ما هذا الكلام الذي يظهر منك؟ قال: شيء تجيش به صدورنا، فتقذفه على ألسنتنا، ومن الوافدين عليه سحبان وائل، وقد اشتهرت له خطبة خطب بها بين يديه، وكانت العرب تسميها الشوهاء من حسنهما، ومنهم الأحنف بن قيس سيد تميم، ومما نطق به في حضرته، معبراً عن شكاة لقومه:

"إن دافة دفت، ونازلة نزلت، ونائبة نابت، ونابطة نبتت ، كلهم به حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره، فقال معاوية: حسبك يا أبا بحر، قد كفيت الشاهد والغائب".

ولما فكر معاوية في جعل ابنه زيد ولياً لعهدده استقدم وفود العرب من الأمصار والبادية فكانوا يخطبون بين يديه منوهين ببيزيد، ومبايعين له، سياسة حكيمة منه، حتى يبرم الأمر من بعده لابنه، ولما توفي وجلس ابنه يزيد مكانه دخل عليه عطاء بن أبي سفيان الثقفي، فخطب بين يديه بقوله:

"يا أمير المؤمنين أصبحت قد رزئت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، وقد قضى معاوية نحبه، فغفر الله ذنبه، وقد أعطيت بعده الرياسة، ووليت السياسة، فاحتسب عند الله أعظم الرزية، واشكره على أفضل العطية".

وكان عبد الملك يجلس للوفود وخطبائها، وممن وفد عليه سعيد بن عمرو بن سعيد، والهيثم بن الأسود بن العريان، وقد سأله عبد الملك كيف تجدك؟ قال: "أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولأن مني ما كنت أحب أن يشتد"، ولما توفي عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس، وهم لا يدرون أيهد ثونه أم يعزونه، فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي فسلم عليه، ثم قال:

"يا أمير المؤمنين! أصبحت قد رزئت خير الآباء، وسميت خير الأسماء، وأعطيت أفضل الأشياء، فعظم الله لك على الرزية الصبر، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر، وأعطانك على حسن الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية، وأنزله بأفضل المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية".

ولم يكن يتولى الخلافة أموي إلا وتقدم الوفود عليه من الأمصار، ويقوم خطباؤها بين يديه مهدئين مبايعين ذاهبين في خطبهم كل مذهب، ومن حين إلى حين كانت تقدم هذه الوفود على الخليفة لترفع مظلمة لها، أو لتتال بعض الرغد والعطاء، ونجد الوعاظ كثيرا ما يلمون بمجالس الخلفاء ويعظونهم، على نحو ما كان يعظ أبو حازم الأعرج سليمان بن عبد الملك ولما تولى عمر بن عبد العزيز كان يقدم عليه النساك، والزهاد لوعظه، لما اشتهر عنه من نسكه وعبادته، من مثل زياد بن أبي زياد، وكان يلزمه محمد بن كعب القرظي، وله أخبار معه ومواعظ، وكان خالد بن صفوان يلزم هشام بن عبد الملك ويعظه.

وعلى نحو ما كانت تفد الوفود والوعاظ على الخلفاء كانت تفد على الولاة، وممن وفد على زياد وخطب بين يده في وفد من قومه عمران بن حطان ، وكان الأحنف يفد على ابن الزبير كما كان يفد على معاوية، ويفد معه خطباء ومن قومه ، وكم من خطيب تخلص من عقاب الحجاج بحسن منطقه ، ولما دخل أيوب بن القرية عليه قال له: "ما أعددت لهذا الموقف؟ قال: ثلاثة حروف، كأنهن ركب وقوف: دنيا وآخرة ومعروف"، وقال له في بعض القول: "أقلني عثرتي وأسقني ريقِي، فإنه لا بد للجواد من كبوة، ولل سيف من نبوة، وللحليم من هفوة". وكان كثيرًا ما يستنطق الوافدين عليه. ولما ولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراق، كان يحضر مجلسه الوعاظ، ويعظونه كما كانوا يعظون أباه.

ومما يدخل في هذا الضرب من خطابة المحافل خطابة الإملاك والتزويج وخطابة الصلح بين العشائر، وما كان من منازعات، ومفاخرات في مجالس الخلفاء، ويسوق الجاحظ في بيانه أخبارًا كثيرة عن هذه الصور من الخطابة وما كان يفترق به بعضها عن بعض.

3- الخطابة الدينية والوعظ والمناظرات:

نمت هذه الخطابة في عصر بني أمية نموا واسعا، فقد كانت فريضة مكتوبة على المسلمين في صلاة الجماعة والعيدين، وكان الخلفاء والولاة يأمرون الناس في تلك الصلاة، ولذلك نقرأ لكثير منهم خطابات زاهدة، يحضون الناس فيها على الانصراف عن الدنيا والتعلق بالآخرة، ويحثونهم على الخير والفضيلة

والأعمال الصالحة، وأخطب الخلفاء في هذا الباب عمر بن عبد العزيز، وله خطب كثيرة يدعو فيها الناس إلى طاعة الله والنفور من معصيته، وأن يفكروا في الموت وما بعده من البعث والحساب والجنة والنار، ولعل واليا لم يؤثر عنه من الخطب الدينية ما أثر عن الحجاج، وكان دائما يقول: "أيها الناس إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله ، وللولة من قبله وبعده مواعظ ترونها كتب الأدب والتاريخ.

وإذا كان هذا اللون من الخطابة قد شاع على ألسنة الخلفاء الأمويين، وولاتهم فإن خصومهم من الخوارج والشيعة كانوا لا يقلون عنهم دعوة إلى التقوى والورع، بل لعلهم كانوا يتقدمونهم، إذ لم يكن بأيديهم شيء من الدنيا، وكانوا يمزجون خطابتهم السياسية بالدين، وقد يجعلونها دينية خالصة، على نحو ما صنع قطري بن الفجاءة في موعظته المشهورة ، وشداد بن أوس أحد شيعة علي في موعظته بين يدي معاوية، وقد طلب إليه أن يتنقص عليا وتدور في كتب الأدب كلمات كثيرة لزيد بن علي بن الحسين، هي من بقايا خطبه ، وكان ينازعه جعفر بن حسن بن الحسن بن علي في الإمامة، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاباتهم، ومجادلاتهما في أيهما الأحق بها.

غير أن هؤلاء جميعا لم يتخصصوا بالخطابة الدينية، ولم يعيشوا لها، وإنما الذي عاش لها هم القصاص والوعاظ، وقد نشأ القصاص منذ عصر عمر بن الخطاب، فكان هناك قصاص يقصون في المساجد ، وآخرون يقصون في مقدمة الجيوش الفاتحة . واتسعت هذه الموجة اتساعا شديدا في عصر بني أمية، إذ استخدمها الدولة كما استخدمها خصومها في الدعوة

السياسية، وقد أمر معاوية أن يكون ذلك مرتين في اليوم، مرة بعد صلاة الصبح، ومرة بعد صلاة المغرب ، وعين للقصاص مرتبات خاصة. وكان للخوارج قصاص كثيرون، أشهرهم صالح بن مسرح، وإن يخلط مواعظه وقصصه بالدعوة إلى الجهاد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يزال يذم الدنيا والتعلق بها.

المحاضرة رقم 11:

الكتابة في العصر العباسي:

عوامل تطورها - موضوعاتها - أعلامها - خصائصها الفنية

تطورت الكتابة في العصر العباسي بفضل عوامل مثل الاستقرار السياسي والاقتصادي، والانفتاح على الحضارات الأخرى، وترجمة العلوم، والتشجيع الأميري للثقافة مما أثرى موضوعاتها وأساليبها الفنية. أما موضوعاتها فشملت الرسائل الديوانية والإخوانية والأدبية، أما أعلامها فمنهم الجاحظ، وابن العميد، وأبو العلاء المعري، وخصائصها الفنية فتميزت بالسجع، والتوازن، والصور البلاغية المعقدة، والتنوع في الأسلوب.

❖ عوامل تطور الكتابة في العصر العباسي:

- الاستقرار السياسي والاقتصادي: وفر بيئة مواتية للإبداع الأدبي والعلمي.
- النهضة العلمية والترجمة: ساهمت حركة الترجمة للعلوم اليونانية والفارسية والهندية في إثراء الفكر الأدبي وتطويره.
- التشجيع الأميري: شجع الخلفاء العباسيون الحركة الثقافية ودعموا الأدباء والشعراء وأنشأوا دور العلم والمكتبات مثل بيت الحكمة.
- التنوع الاجتماعي: أدى ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى ظهور جمهور متنوع من القراء، مما دفع الأدباء إلى التنوع في موضوعاتهم وأساليبهم.
- التبادل الثقافي: ساهم التوسع الجغرافي للدولة العباسية في الاحتكاك بالحضارات الأخرى وتبادل الأفكار.

❖ موضوعات الكتابة العباسية:

- الرسائل: تطورت الرسائل بأنواعها المختلفة، مثل الرسائل الديوانية (الإدارية) والرسائل الإخوانية (الاجتماعية).

- الأدب العلمي: ازدهر الأدب المتعلق بالعلوم المختلفة نتيجة حركة الترجمة.

- فن الوصف: شاع في العصر العباسي فن وصف مظاهر الحياة الجديدة، مثل القصور، والمآكل، والمشارب، والاحتفالات، كما في قول الشاعر: "تفرقت الجماعات بعد اجتماع".

- الفنون والبديعيات: أصبح الأدب يتضمن العديد من الفنون البلاغية كالكتابة والاحتراس، والحقيقة والمجاز، والاستعارة، وغيرها.

❖ أعلام الكتابة في العصر العباسي:

• **الجاحظ:** يُعد من أبرز رواد الكتابة، اشتهر بأسلوبه الأدبي المميز وموسوعيته، وله مؤلفات قيمة كـ"البخلاء" و"الحيوان".

• **ابن العميد:** يُعتبر من رواد الرسائل الديوانية، اشتهر ببراعته في الكتابة الإدارية والسياسية، وله رسائل عديدة في دواوين الملوك.

• **أبو العلاء المعري:** اشتهر بشعره وفلسفته، وله مؤلفات قيمة كـ"رسالة الغفران" و"اللزوميات" و"ديوان سقط الزند".

• **مؤلفون آخرون:** ظهر في العصر العباسي العديد من الكتاب والمؤلفين الذين برعوا في مختلف فنون الكتابة، مثل "أبو تمام" و"البحثري" و"المنتبي" وغيرهم.

❖ الخصائص الفنية للكتابة:

- السجع والتوازن: استخدم الكتاب السجع والتوازن في الجمل لتحقيق موسيقى لغوية مما زاد من جمالية الكتابة.
- الصور البلاغية: لجأ الكتاب إلى الصور البلاغية المعقدة مثل الاستعارات والتشبيهات، والمجاز، والتخييل، والتصوير، لإثراء النص وتعميق المعنى.
- الإيجاز والإطناب: تم استخدام كل من الإيجاز والإطناب بحسب ما تقتضيه الحاجة للتأثير على القارئ.
- الاستشهاد بالشعر والقصص: تم الاستشهاد بالشعر والقصص والحكايات، لدعم المعنى وإثراء النص.
- التنوع في الأساليب: تنوعت أساليب الكتابة ما بين الوضوح والبساطة في بعض الأحيان، والتعقيد والتكلف في أحيان أخرى، حسب ما تقتضيه الطبيعة.

المحاضرة رقم 12:

ظهور أجناس أدبية جديدة، فن الموشحات

الموشحات الأندلسية هي نوع من الشعر الغنائي الذي نشأ في الأندلس (إسبانيا الحالية) خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادي.

تعتبر الموشحات جزءاً مهماً من التراث الأدبي العربي، وقد أثرت بشكل كبير على الأدب الغربي.

يتميز هذا النوع من الشعر بالتنوع في الأوزان والقوافي، وهو يختلف عن الشعر العربي التقليدي في شكله ومضمونه.

1/تعريف الموشحات:

الموشحة هي قصيدة شعرية تتألف من مقاطع (أجزاء) تتناوب فيها الأوزان والقوافي بشكل منظم.

يحتوي كل مقطع على أبيات تنتهي بقافية موحدة، يلي كل مقطع جزء يسمى "القفل" يتكرر في نهاية كل مقطع من الموشحة. هذا الأسلوب يعطي القصيدة طابعاً غنائياً وإيقاعاً مميزاً.

2/نشأة وتطور الموشحات:

نشأت الموشحات في الأندلس خلال فترة ازدهار الحضارة الإسلامية في إسبانيا. تعود أصول هذا الفن إلى التفاعل الثقافي بين العرب والإسبان، حيث تأثرت الموشحات بالأغاني الشعبية الإسبانية والألحان الموسيقية الغربية. و كان لهذا التفاعل تأثير كبير في تشكيل بنية الموشحات وإيقاعاتها.

3/خصائص الموشحات:

- التنوع في الأوزان والقوافي: تستخدم الموشحات أوزانًا متعددة وقوافي متنوعة في الأبيات والأقوال، مما يضفي على القصيدة تنوعًا وإيقاعًا موسيقيًا.
- اللغة السهلة والبسيطة: تتميز لغة الموشحات بالبساطة والوضوح، مما يجعلها قريبة من الناس وسهلة الفهم.
- المضمون العاطفي والغنائي: تعبر الموشحات عن مشاعر الحب والشوق والفرق، وغالبًا ما تتناول موضوعات الطبيعة والجمال.

4/أنواع الموشحات:

تتنوع الموشحات بحسب الموضوعات التي تتناولها، ويمكن تقسيمها إلى عدة أنواع رئيسية:

- الموشحات الغزلية: تتناول موضوع الحب والجمال، وتعبر عن مشاعر العشق والغرام.
- الموشحات الزهدية: تعبر عن مشاعر الزهد والتصوف، وتتناول موضوعات الحكمة والتأمل الروحي.
- الموشحات الوطنية: تعبر عن المشاعر الوطنية والفخر بالأوطان، وغالبًا ما تتناول موضوعات البطولة والفداء.

5/أشهر شعراء الموشحات:

- ابن زهر الأندلسي: يُعتبر من أبرز شعراء الموشحات في الأندلس، وله العديد من الموشحات التي تتميز بالجمال والروعة.

- لسان الدين بن الخطيب: من كبار شعراء الأندلس، وله موشحات مشهورة تناولت موضوعات متنوعة.

كان للموشحات تأثير كبير على الأدب العربي والغربي. فقد انتقلت تقنيات الموشحات إلى أوروبا عبر التفاعل الثقافي بين العرب والأوروبيين، وأسهمت في تطور الشعر الغنائي الأوروبي.

بالإضافة إلى ذلك، لا تزال الموشحات جزءًا مهمًا من التراث الأدبي العربي، وتدرس في المناهج الأدبية وتُغنى في المناسبات الثقافية والفنية.

المحاضرة رقم 13:

فن المقامة

المقامة إحدى فنون القصص في الأدب العربي النثرية المطعمة أحياناً بالشعر، وقد عرفت منذ العصور الأولى للأدب العربي .

- تعريف المقامة:

أ- لغة : اسم مكان من أقام، ثم أطلق على المجلس، فقيل مقامات الناس أي مجالسهم التي يتحدثون فيها ويتسامرون ، ثم أصبحت تطلق على الحديث الذي يدور في مجالس السمر¹ قال القلقشندي صاحب صبح الأعشى: وسميت الأحداث من الكلام مقامة، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها. فمعنى المقامة في اللغة: المجلس²

ب- اصطلاحاً : هي "حكايات قصيرة خيالية أدبية بليغة، تشتمل كل واحدة منها على حادثة لبطل المقامة يرويها عنه راو معين يغلب عليها أسلوب السجع والبديع وتنتهي بمواعظ أو طرف أو ملح"³ .

هي "حكاية قصيرة تقوم على الحوار بين بطل المقامة وراويها، كما تقوم على التفنن في الإنشاء، والاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب، بحيث تتقدم على الشعر بمحسناتها اللفظية والبديعية، وتشتمل على كثير من درر اللغة وفرائد الأدب والحكم والأمثال والقطع

¹ - بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار الجيل، بيروت - لبنان، طبعة جديدة ومنقحة، لانا، 2/ 389

² - القلقشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1407 / 1987، 1/ 15.

³ - راحلة نجفي: البناء القصصي في مقامات السرقسطي، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف، العراق، العدد 48، ص 499.

النثرية والأشعار الغريبة في بابها، وتدخل ضمن فن الفكاهة، وهدفها الأساس تعليم الناشئة أصول اللغة والقدرة على النظم والتفنن في القول"¹

نشأة فن المقامات :

يذكر أن أول من أنشأ فن المقامات هو العالم اللغوي أبو بكر بن دريد (321 هـ) حيث كتب 40 مقامة تحت مسمى : أحاديث ابن دريد ، ولكنها ليست معروفة لنا² ، ثم جاء بعد أحمد بن فارس (355هـ) ثم جاء بديع الزمان الهمذاني وكتب مقاماته الشهيرة حيث تأثر فيها بأستاذه ابن فارس. إذا فالرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي هو بديع الزمان الهمذاني (خلال القرن الرابع الهجري)³ .

ثم جاء بعده كتاب كثيرون أشهرهم: الحريري (مقامات الحريري)، الزمخشري (أطواق الذهب) السرقسطي الأندلسي (المقامات السرقسطية) ، جلال الدين السيوطي (مقامات السيوطي) . وفي العصر الحديث أنشأ محمد المويلحي (حديث عيسى بن هشام) وناصر اليازجي (مجمع البحرين) .

أسباب نشأة المقامة:

أولاً- الظروف الاجتماعية:

¹ - مريم صاعد واقفي: المقامات الفن العربي الأصيل ، مقال الكتروني : <https://www.diwanalarab.com/>

² - زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع، ص200.

³ - بطرس البستاني: أدباء العرب، 2/389.

عرف العصر العباسي نوعاً من الطبقة فقد ظهرت طبقة فاحشة الثراء ، عاشت أصناف البذخ وأشكال الرفاهية ، فكان من الطبيعي أن تظهر في المقابل طبقة شعبية مقهورة بالكاد تستطيع أن توفر لقمة العيش ، في ظل هذه الحياة اللاهية العابثة من جانب، والقاسية من جانب آخر كان من الطبيعي أن تكثر المجاعات وتنتشر السرقات وتفشي ألوان من الفسق والفجور وتشيع الكدية والاستجداء.

لم يكن حال الأدباء في هذا العصر أفضل من حال مواطنيه فقد انقسموا إلى صنفين:

1. صنف أتيح له أن يتصل بالأمرء، ويخالط الوزراء ويحيا على أكتافهم ينعم بلذائذ الحياة المادية ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

2. صنف آخر لم يتح له النجاح في تحقيق الصلة مع الأمرء، والوزراء أو عافت نفسه ذلك الاتصال ؛ أمثال هؤلاء قاسوا شظف العيش وضنك الحياة وعانوا لذع الحرمان ومرارته.

وقد شاعت في هذا العصر ثلاث ظواهر في المجتمع آنذاك شيوعاً كبيراً:

أ. الظاهرة الأولى: الاستكثار من الجواري والغلمان.

ب. الظاهرة الثانية: انتشار مجالس اللهو والمجون.

ج. الظاهرة الثالثة: ظهور طائفة من الأدباء الفقراء يجوبون البقاع يتكسبون بأدبهم ويتسولون

به لقمة العيش لأولادهم ويحتالون في سبيل ذلك احتيالا بالغاً، وقد يستغلون سذاجة البسطاء

من عامة الناس؛ وعرفت هذه الفئة بأهل الكدية وهذا ما صرح به بديع الزمان في بعض

مقاماته.

ثانياً - الظروف الثقافية:

تحول كثير من الأدباء في هذا العصر إلى ندماء في قصور الخلفاء أو مستجدين للأموال
بوساطة المديح إلا أن هذا الجانب وحده لا يعطي صورة حقيقة للحركة الفكرية.

لم يقتصر العباسيون في فكرهم على الفكر العربي الإسلامي الخالص بل فتحوا الباب واسعاً
أمام التيارات الثقافية المختلفة المعروفة آنذاك (الهندية، الفارسية، اليونانية) تركوها تتصارع مع
الفكر الإسلامي الخالص، وتلونه. كما فتح العباسيون المجال لحرية الفكر في كل اتجاهاتها إلا
اتجاها واحدا هو التعرض إلى سلامة دولة الإسلام .

لقد أصبح الفنان الشاعر والأديب في كثير من حالاته بهلوانا أو مستجديا في قصور الخلفاء.
كما أن الفكر نفسه قد صار يتعامل به المشعوذون.

من ذلك يمكننا أن نعرف أن ما جمعه بديع الزمان في مقاماته بمهارة تقدم صورة واهية لذلك
المجتمع العباسي . غير أن الصورة التي استقى منها بديع الزمان فن المقامة تظل ناقصة إذا
أهملنا ظاهرة مهمة لعبت دوراً رئيساً في تلك المرحلة ، هي ظاهرة البؤس التي آل إليها حال
كثير من الأدباء، وأصحاب المهارات في ذلك المجتمع ، وهنا تتضح كيف كانت المقامة الفنية
عند بديع الزمان الهمذاني وليدة بيئة بعينها في مرحلة معينة من مراحل التاريخ .

أركان المقامة:

المقامة قصة وجيزة أو حكاية قصيرة مبنية على الكدية (الاستعطاء) وعناصرها ثلاثة:

1- الراوي: أو راوية ينقلها عن مجلس تحدث فيه .

2- البطل (أو المكدي/الشحاذ) : تدور القصة حوله وتنتهي بانتصاره، وهو يتكرر في

جميع المقامات تماماً كالراوي باسمه وشخصه، فبطل مقامات الهمذاني مثلاً هو (أبو الفتح الأسكندري)، وبطل مقامات الحريري هو (أبو زيد السروجي)، وهو شخص خيالي - غالباً - مخادع ينتمي الى شريحة المحتالين الأذكياء البلغاء، الذين يستخدمون الحيلة والفتنة والدهاء في سلب الناس أموالهم، لذا فإن أبرز ميزات البطل الشحاذ هي أن يكون خفي المكر، لين المصانعة، فتيق اللسان، شديد العارضة، مفوهاً حذاقياً، واسع المعرفة في صنوف الأدب وغريب اللغة وأحكام الدين وصنوف العلم، فهو شاعر وخطيب وواعظ، يتظاهر بالإيمان والزهد ويضمّر الفسق والمجون، ويتصنع الجد ويخفي في طياته الهزل، ويظهر غالباً كشخص مسكين متهالك بئس، إلا أنه في واقع الأمر طالب منفعة.

3- النكتة (ملحة - عقدة) :

تحاك كل مقامة من المقامات حول نكتة خاصة وفكرة معينة يراد إيصالها عن طريق البطل الشحاذ، وتكون عادة فكرة مستحدثة، أو ملحة مستزرفة، وموضوعات المقامات تكون مختلفة، فمنها ما هو لغوي، أو أدبي، أو بلاغي، ومنها ما هو فقهي، أو حماسي أو فكاهي ومنها ما هو خمري أو مجوني، بحيث تترادف المقامات في مواضيع مختلفة خالية من النسق والترتيب أو يكون ترتيبها غير ظاهر الترابط بوضوح، فكل مقامة تعتبر وحدة قصصية قائمة بنفسها تعتمد وحدة المكان غالباً. ويغلب المقامات عادة الفكاهة والملح النادرة.

بنية المقامة :

تتشكل المقامة من عناصر أساسية هي :

1- العنوان

2- السند /الإسناد : (حدثنا عيسى بن هشام ...) يوهنا أن الراوي هو مصدر الحكاية

وبأنها قصة واقعية ذات مصداقية ، وهي حقيقة حكاية متخيلة شخصيات وأحداثا .

3- المتن : هو الخطاب السردي يشمل مقومات السرد من مكان وزمان وشخصيات وأحداث ،

كما يشمل أنماط السرد من سرد ووصف وحوار ، ويجمع بين الشعر والنثر ويكتسي حلة من الزخرف البديعي والأساليب البيانية .

4- الخاتمة الشعرية : هي مقطع شعري يظهر في آخر أغلب المقامات ويغيب عن

بعضها (ليست كل المقامات تتوفر على خاتمة شعرية) .

خصائص المقامة:

1/تعتمد المقامة في صياغتها وأسلوبها على التزام السجع، والإغراق في الصنعة اللفظية

وتوظيف غريب اللغة، والمحسنات البديعية المختلفة لا سيما الجناس منها، وفنون البلاغة

المتنوعة من تشبيهات وكنايات واستعارات واقتباس، ومقابلة وموازنة وما الى ذلك، فهي فن

تزويق وتأنق لفظي

2/ أسلوب المقامة مملوء بالصناعة اللفظية من جناس وطباق والتزام تام بالسجع مما يسهل

حفظها ويجعل القارئ يطرب ويعجب لما فيها من إيقاع لفظي ظاهر

3/ هي مليئة بالقصص والحكم والمواعظ .

4/ يغلب على ألفاظها غريب اللغة والألفاظ المعجمة (غير المفهومة) .

5/ للمقامات غاية تعليمية واضحة إذ يتعلم الناس منها وخاصة الطلاب : غريب اللغة والسجع

وفنون البلاغة بصورة تطبيقية سهلة ومحبة ، كما تزودهم بنخيرة لغوية مفيدة

6/ يختار كاتب المقامات لمقاماته بطلا تدور حوادث المقام حوله ، وراوي يروي تلك الأحداث:

المقامة	البطل	الراوي
مقامات بديع الزمان الهمذاني	أبو الفتح الإسكندري	عيسى بن هشام
مقامات الحريري	أبو زيد السروجي	الحارث بن همام

وكلاهما (البطل والراوي) وهمي لا وجود له خارج النص .

المحاضرة رقم 14:

الحكم والأمثال

تعريف المثل:

من قولنا هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول شَبِهه، وشَبِهه، لأن الأصل فيه التشبيه. وللعرب أمثال جيدة خلفوها لنا تدل على عقليتهم، أكثر مما يدل عليها الشعر والقصص، ولعل سبب ذلك يعود إلى أن المثل يوافق مزاجهم العقلي. وهو النظر الجزئي الموضوعي لا الكلي الشامل. والمثل لا يستدعي إحاطة بالعلم أو شؤون الحياة ، وللمثل مورد ومضرب. فمورد المثل هو القصة أو الحادثة التي ورد فيه. ومضربه هو الحالة التي يستخدم فيها.

و قال ابن الجوزية : ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها ملته من الحق لا يجده أحد ولا ينكره وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا ، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته. وقال السيوطي في " الأمثال " : المثل : ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه ، حتى ابتدلوا فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتع من الدر و وصلوا به المطالب القصية ، وتفرجوا به عن الكرب والكربة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة.

الحكمة:

هي لون من النثر وهي خلاصة نظر معمق إلى الحياة، وما يضطرب فيها من ظواهر تصدر عن ذوي التجارب الخصبة والعقول الراجحة والأفكار النيرة.. وقائلها حكيم ينظر إلى الأمور نظرة شاملة ويحللها تحليلا دقيقا، ثم يصدر في شأنها حكما يظل سائرا مذكورا يعلق

بالأذهان والقلوب. فيجري على الألسن عبر العصور والأزمان لأن الناس يجدون في هذه الحكم هداية وإرشادا وتوجيها إلى ما يعينهم على الفلاح في حياتهم.

الفرق بين الحكم والأمثال

الحكمة قول موجز يتضمّن حُكْمًا صحيحًا للأشياء، كونه نابع من واقع الشخص ومعاناة تجاربه في الحياة، أمّا المثل فيقترن في أصله بقصة أدت إليه، ثم دخلت في نطاق الأمثال بالإضافة إلى أنّ الحكمة تختلف عن المثل في أنها تصدر في أغلب الأحيان عن فئة معيّنة من الناس لها تجاربها وخبرتها وثقافتها في الحياة بعكس المثل الذي يصدر عن عامّة الناس، وقد دوّن العرب أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي ممّا ساعد على حفظها وتناقلها على الألسنة، مع أنّ أكثر هذه الحكم والأمثال لا يُعرف أصحابها.

الخصائص الفنية للحكم والأمثال

بعد الحديث حول أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي، لا بدّ من استعراض أهم الخصائص الفنيّة لها، فقد لقيت شيوعًا كبيرًا في العصر الجاهلي؛ لخفتها وعمق ما فيها

من حكمة، بالإضافة إلى إصابتها للغرض المنشود منها وصدق تمثيلها لحياة الناس العامة ولأخلاق الشعوب كذلك، ومن أبرز الخصائص الفنية التي ميّزت أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي ما يأتي:

- 1- إيجاز اللفظ والسبك الجيّد.
- 2- إصابة المعنى المنشود.
- 3- حسن التشبيه من خلال استخدام ضروب البلاغة.
- 4- جودة الكناية والاستعارات.
- 5- إيرادها بأسلوب سهل وبسيط لا أثر للصنعة الإنشائية فيه.
- 6- جمال الصنعة والتصوير.

أسباب انتشار الحكم والأمثال في العصر الجاهلي

لاقت الحكم والأمثال شهرة كبيرة في العصر الجاهلي، حيث أنها انتشرت على ألسنة الناس عامة، وربما يعود ذلك لما امتاز به العرب من فصاحة وبلاغة وتجارب كثيرة في الحياة، ومن أبرز من قالوا أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي: لبيد بن ربيعة قس بن ساعدة، امرؤ القيس ربيعة بن حذار، عامر بن الظرب العدواني، سهيل بن عمرو هرم بن قطبة الفزاري وأكثم بن صيفي التميمي، كما يمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت لانتشار أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي على ألسنة هؤلاء الأشخاص بما يأتي:

- البيئة الفطرية التي تسود فيها الأمية وتشتد الحاجة فيها إلى التجارب المستخلصة بصورة أقوال لها معنى صادق.

-ارتباط المثل بحادثة أو حكاية ساعدت على انتشاره.

- صياغة الأمثال في غالب الأحيان في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين مورد المثل والمناسبة التي قيل فيها بما يرضي فيها الذوق العربي.

-شيوخ الحكم على الألسنة؛ وذلك لاعتمادها على التجارب واستخلاص العظة من الحوادث والتمكن من ناحية البلاغة.

أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي

لقد أبدع العرب في ضرب أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي في مختلف المواقف والأحداث، التي لا يزال بعضها حيًّا إلى هذا الوقت وما زال مستخدمًا، فلا يكاد يخلو موقف من حياتهم العامّة إلا وُجد مثلاً ضرب عليه، ولا تخلو أيضًا خطبة ولا قصيدة في اللغة العربية من مثل أو حكمة مميّزة تؤثر في حياة الناس، فالأمثال والحكم هي أصدق ما يتحدث عن أخلاق الأمم وتفكيرها وعاداتها وتقاليدها، ونظرًا لازدحام حياتهم البدويّة بالحروب والمعارك فقد أثمرت تلك المواقف والحروب حكمًا وامثالًا اختزلت مواقف ومعانٍ كبيرة ومن أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي :

1- مَصَارِعُ الرِّجَالِ تَحْتَ بَرُوقِ الطَّمَعِ: وهذه الحكمة دعوة للقناعة، لأنَّ الطمع يقتل صاحبه.

2- رُبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ: هي دعوة إلى التثبت من الأمر قبل توجيه اللوم والذنب للبريء.

3- أَدَبُ المَرءِ خَيْرٌ مِنْ ذَهَبِهِ: وتعني أن قيمة الإنسان بأدبه وليس بماله. مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ

4- كَانَ كَالغَاصِ بِالمَاءِ: وهذه تدعو إلى حسن اختيار الأعوان.

5- جَزَاؤُهُ جَزَاءَ سَنَمَارٍ: يضرب هذا المثل لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.

6- الصيْفُ ضيَّعَ اللبْنَ: يضرب لمن يضيع أمراً على نفسه ثم يطلبه بعد فوات الأوان.

7- على أهلها جنت براقش: وبراقيش اسم لكلبة لقوم من العرب وقد اختبأت مع أصحابها الغزاة، فلما عادوا خائبين لم يعثروا عليهم فنبحت براقش فاستدلوا بنباحها على مكان أهلها فاستباحوهم.

8- أعط القوس باريها: يُضرب هذا المثل في إعطاء العمل لمن يتقنه.

قصص أشهر أمثال العرب في الجاهلية

توجد العديد من القصص لـ أشهر أمثال العرب في الجاهلية، ومنها:

أحشفاً وسوء كيلة:

وتعود قصة هذا المثل إلى أن ذهب أعرابياً ليشتري التمر، فوجده سيء ولاحظ غش البائع في الميزان، فقال له هذا المثل ليعبر عن أمرين مكروهين مع بعضهما.

أوسعئهم سباً وأودوا بالإبل:

وجاء هذا المثل عندما هجمت اللصوص على رجلاً وأخذوا إبله، ولم يستطع الدفاع عن إبله وعندما ابتعدوا أخذ يسبهم بأقبح الألفاظ، ولما عاد لقومه وسأله عما فعل وأين إبله، قال هذا المثل، فصار يُلق على من لا يفعل شيئاً ويتكلم فقط.

اختلط الحابل بالنابل:

ويُضرب هذا المثل تعبيراً عن اختلاط الجيد بالسيئ وعدم التفرقة بينهم، وتعود قصة هذا المثل لاختلاط فعل الحابل الذي يرمي الرمح بفعل النابل الذي يرمي السهم ، فكلامهما يصيب أو يخطئ.

جوع كلبك يتبعك:

وتعود قصة المثل إلى ملك حمير، وكان رجلاً ظالماً يسلب رزق الناس ويجعلهم جائعين ولم ينفذ معه النصيحة، فجاءت له زوجته متعاطفة مع حال الناس، فقالت له: "إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش الرغد، وإنني أخاف أن يكونوا عليك أشياعاً وقد كانوا أتباعاً"، فأجابها الملك: جوع كلبك يتبعك.

لا ناقة لي فيها ولا جمل:

وتعود قصة المثل إلى الحارث بن عباد، الذي رفض أن يشارك في حرب البسوس التي كانت بين تغلب وربيعة، بسبب قتل كليب لناقة البسوس، فأراد جساس هو الآخر أن يقتل جمل كليب، ولكنه قتل كليب فقامت الحرب بينهم، ولما دعي ابن عباد إلى الحرب، رأى أنها حرب غير محقة لهم، فرفض النزول في الحرب وقال لا ناقتي فيها ولا جملي، فأصبح مثلاً يدل على البراءة من الأمر.

قَطَعَتْ جَهِيْزَةٌ قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ:

ويعود أصل هذا المثل إلى عراك حدث بين قبيلتين أدى لمقتل أحدهما، فسعى كبار القبائل المجاورة للصلح بينهم قبل أن تتشب نار الحرب بينهم، ودفع دية القتيل، فدخلت جارية تسمى جهيزة قاطعة لحديثهم وأخبرتهم أن أهل القتيل أخذوا بثأر قتلهم، فقال كبيرهم قطعت جهيزة قول كل خطيب.

ما يوم حليلة بسر:

ويعود أصل هذا المثل إلى أن حليلة ابنة الحارث الغساني قامت باستقبال جند أبيها بعد عودته منتصراً على المناذرة، فضمتهم وذاع خبر انتصارهم وما فعلته حليلة يوم النصر فأصبح المثل يُعبر عن انتشار الأمر.

إذا عز أخوك فهن:

هذا المثل جاءت قصته عن هديل بن هبيرة التغلبي عندما خرج مع أصحابه ليقاتل بني ضبة فانتصروا عليهم، وأثناء عودتهم طلب منه أصحابه أن يقتسموا الغنيمة ولكنه خاف من هجوم أعدائهم مرة أخرى عليهم وهم يقتسمون، فطلب منهم الانتظار حتى يعودوا إلى ديارهم ولكنهم أصروا، فنفذ ما أرادوه وقال هذا المثل.

المحاضرة رقم 15:

أدب الرحلة

1/ مفهوم أدب الرحلات :

هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان. يعنى أساسا بالرحلات الواقعية ذات المُحددات المكانية والزمانية ، سواء جرت فوق الأرض ، و في أعماق البحار ، أو في السماء ، ولا يعنى أدب الرحلات بالرحلات الخيالية¹

وعند العرب هو نوع من أنواع النثر العربي ، وُجد في أدبنا العربي منذ القرن التاسع الميلادي و تقوم موضوعاته على الرحلات ، ويكتب بلغة أدبية خاصّة لها خصائصها التي تميّزها عن التسجيلات الجغرافية التي تتصف بالأسلوب العلمي ، وتبتعد عن الأسلوب الأدبي. وهذا ما يجعل أدب الرحلة منتما إلى الفنون الأدبية النثرية.

2/ الصياغة الأدبية لأدب الرحلة : دَوّن الرحالة في مذكراتهم أخباراً ومشاهد وأوصافاً

وتعليقات وملاحظات موجزة، ثم عمدوا إلى تهذيبها وصوغها بأسلوب جميل، إما في أوقات الراحة في أثناء السفر، وإما بعد الرجوع من السفر. ويشرع الرحالة المغامر أحياناً في سرد حكاياته وقصصه ومغامراته على الكاتب الذي يصوغها بأسلوبه الجميل، وقد اعتمد الرحّالة العربي على النظر فيما يكتبه ويرويّه، كما اعتمد على السمع، وعلى قراءة ومطالعة الكتب والأخبار .

¹ - عبد الوهاب محمد العمراني : مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب: رؤية يمنية في أدب الرحلات، دار الخليج ، عمان،

إضافة إلى ما تقدم يعمد الرحّالة إلى تضمين الرحلة بعضاً من آيات القرآن الكريم والأشعار ويرون في ذلك تأكيداً لكلامهم، كما يشيع في الرحلة الحوار، والمشهد القصصي فيها مستمر والوصف من أدواتها الرئيسية، ومن أجل إضفاء الحيوية، وإبعاد الملل، وإثارة التشويق لدى القراء، اعتمد كتاب الرحلات على خلط الجد بالهزل، ونثر عناصر الفكاهة في كتبهم.

أوضح ما يميز أسلوب أدب الرحلات : تتوّع الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف ، وغيره ، فإنّ أبرز ما يميزه هو أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدّمه الأديب من متعة ذهنية كبرى ؛ ممّا حدا بالدكتور " شوقي ضيف " إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب : " خير رد على التهمة التي طالما أُتّم بها الأدب العربي ، تهمة قصوره في فن القصة . "¹ وقد أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان ، عن اللهو والعبث اللفظي ، والتكلف في تزويق العبارة ؛ إثارة للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضج تجربة الأديب ، مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في عصورنا الأدبية . فأدب الرحلات يتميز بوضوح الحس القصصي في سرد الأحداث و اختيارها ، وامتلاك ناصية السرد ، والرواية ، والقدرة على جذب انتباه القارئ وحُسن ختام كل موقف بشكل ممتع ومثير .

3/ دواعي نشأة أدب الرحلة : من أسباب تدوين الرحلات:

- أن يطلب الحاكم من الرحالة تدوين الرحلة، أو يطلب الأصدقاء ذلك.
- قد تكون رغبة الرحالة أنفسهم في إفادة القراء وتثقيفهم بالجديد.

¹ - شوقي ضيف : الرحلات ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 6.

- يكون وصف الرحلة بمثابة مرشد سياحي إذ يهتدي المسافرون بهذه الرحلة المدونة فتكون دليلاً لهم، وكذلك لإبراز مناسك الحج والعمرة، وإعانة المسلمين على معرفة الديار المقدسة وكيفية الوصول إليها والتجول فيها، وللتأريخ للبلدان وحضارتها وشعوبها، وللتعريف بالبلدان الغريبة وأبرز معالمها وعجائبها وعاداتها وتقاليدها.

4/ مضامين أدب الرحلة :

اضطر بعض هؤلاء الرحالة للعمل بالتجارة للإنفاق على تلك الرحلات، فراقبوا الاقتصاد وتحدثوا عن المراكز التجارية والتبادل التجاري، وعن الصناعة والزراعة .

- اهتموا بطباع الناس وطبقاتهم وألوانهم وانتماءاتهم وصفاتهم ولغاتهم.
- ذكروا علماء تلك البلدان، وتحدثوا عن مدارسها ومساجدها، وعن الأدباء والأطباء والمشافي والعمران.

• صوّروا الطبيعة بتضاريسها من جزر وجبال وسهول ووديان وأنهار وهضاب.

بماذا يهتم الرّحّالة في كتاباتهم؟

- ما يتصل بالرحلة ذاتها، من الاستعداد لها وتجهيز الخرائط وذكر صعوبة الرحلة.
- اضطر بعض هؤلاء الرحالة للعمل بالتجارة للإنفاق على تلك الرحلات، فراقبوا الاقتصاد وتحدثوا عن المراكز التجارية والتبادل التجاري، وعن الصناعة والزراعة.
- اهتموا بطباع الناس وطبقاتهم وألوانهم وانتماءاتهم وصفاتهم ولغاتهم.

• ذكروا علماء تلك البلدان، وتحدثوا عن مدارسها ومساجدها، وعن الأدباء والأطباء والمشافي والعمران.

• صوّروا الطبيعة بتضاريسها من جزر وجبال وسهول ووديان وأنهار وهضاب .

5/ نماذج من كتب أدب الرحلة :

عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم، وكانت عنايتهم به فائقة . ولعلّ من أشهر وأقدم نماذجه رحلات كلّ من المسعودي مؤلف كتاب (مروج الذهب)، والمقدسي صاحب (أحسن التقاسيم ومعرفة الأقاليم)، والإدريسي الأندلسي في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

ويعد القرن السادس الميلادي وما يليه من أكثر القرون إنتاجاً لأدب الرحلات. وهنا يطالعنا ضمن النماذج العديدة نموذجان هما: رحلة ابن جبير الأندلسي (ت 614هـ). هذا بالإضافة إلى رحلة ابن بطوطة، وهو أعظم رحالة المسلمين، وقد بدأت رحلته عام (725 هـ) من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة، وظل زهاء 29 سنة يرحل من بلد إلى بلد، ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته وذكرياته على أديب كاتب يدعى محمد جزي الكلي، بتكليف من سلطان المغرب وسمّى ابن بطوطة رحلته: (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان إفريقية، وكان هو أول مكتشف لها، كما صور الكثير من العادات في مجتمعات الهند، بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها. وهذه الرحلة في عمومها صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وبها إبراز لجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية وشعوبها، بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية.

وهناك في أدب الرحلات، في القرن الثامن الهجري، كتاب (خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف) لأديب غرناطة الشهير: لسان الدين بن الخطيب (776هـ).
ولابن خلدون (807هـ) في أدب الرحلات (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) وصف فيه مشاهداته في بلاد المغرب، خلال نفيه إليها، وهو في ثلاثة أجزاء. هذا بالإضافة إلى كتاب ابن خلدون التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً وهو مزيج من السيرة الذاتية وأدب الرحلات مكتوب بلغة سلسة، مع وصف دقيق لرحلته إلى كل من بلاد الأندلس حين أقام فيها منفياً، وبلاد الفرنجة حين أوفده أحد أمراء بني الأحمر إليها، ثم مصر التي أقام فيها قرابة ربع قرن متقلّباً بين مناصب التدريس والقضاء.

6/ أهمية أدب الرحلة :

رغم اختلاف دوافع السفر من إنسان لآخر ؛ فإنّ الرحلة عبارة عن سلوك إنساني يؤتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة ، وهي تجود بمكاسب علمية وأدبية يتعذر حصرها، فمن جهة يُعدُّ أدب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية؛ لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهد الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءته مفيدة وممتعة ومسلية.

ومن ناحية أخرى فإن الشخص بعد الرحلة ليس هو نفسه قبلها ، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها ، يقول " أبو الحسن المسعودي " : " ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما

نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار ، واستخراج كلّ دقيق من معدنه ، وإثارة كلّ نفيس من مكمّنه .¹ "

كما تتجلى القيمة الأدبية للرحلات - فيما يقول د. حسني محمود حسين - فيما تعرضه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني². وهي الفكرة نفسها عند الباحث لطيف زيتوني حين قال إن أهم عنصر في هذا النوع الأدبي هو: "الجهد الذي يبذله أدب الرحلة للمحافظة على الهوية الأدبية ، ورفع مستوى الرحلة إلى الآثار الأدبية ، ونقلها من الشهادة البسيطة إلى الأثر الفني"³

المحاضرة رقم 16:

الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية (فن الترسل)

أولاً : المفهوم والنشأة:

¹ - المسعودي : مروج الذهب ، 1/ 06.

² - حسني محمود حسين : أدب الرحلة عند العرب ، المكتبة الثقافية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976 ، ص 335

³ - لطيف زيتوني : السيميولوجيا وأدب الرحلات ، مجلة عالم الفكر ، العدد 3، عدد 24، ص 251.

الرسائل فن أدبي نثري عرف منذ القدم ازدهر وانتشر في القرنين الثالث والرابع الهجريين خاصة عندما بلغت الحضارة العربية الإسلامية قمة العطاء في مختلف الميادين والمجالات.و لم تكن الكتابة شائعة بين العرب في الجاهلية، ولهذا السبب لم يكن للرسائل دور في حياتهم الأدبية في ذلك العصر لقلة الدواعي إليها. وإنما ازدهر عندهم الشعر والخطابة والحكم. وعندما جاء الإسلام تغيرت الحال و ظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل فرسول الله . صلى الله عليه و سلم . كان يشجّع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة، وقد اتخذ الرسول . صلى الله عليه وسلم كُتَّابًا يكتبون له القرآن الكريم ويكتبون رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وزُعماء المناطق، وملوك الدول و قد كانت الرسالة أول اتصال بالعالم الخارجي للرسول الكريم و لم يكن لا الشّعر و لا الخطابة قادرين على أداء الدور العملي الذي تؤديه الرسالة حين تنقل ما يتصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية أو توجيهات أو تعليمات إدارية ومن هذا التاريخ نafs الكاتبُ الشاعِرَ والخطيب وأصبح له منزلة خاصة.و استمر تشجيع الخلفاء الراشدين على تعلم القراءة و الكتابة و اتخذوا لهم كتابا هم أيضاً يكتبون إلى الولاة وقادة الجيوش الفاتحة التي انتشرت في مختلف الأصقاع لنشر رسالة التوحيد.

ورسائل صدر الإسلام عموماً « غالباً ما تبدأ بالبسملة ثم يأتي بعدها تعابير من قبيل : من محمد رسول الله أو من خليفة رسول الله ،أو من أمير المؤمنين .وقد تبدأ الرسالة باسم الرسول مباشرة مثل:"هذا كتاب من محمد رسول الله ".وإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم فإنّ خير ما تستهل به "سلام الله عليك". أما إذا كانت موجهة لغير المسلم فإن ما تستهل به هو"السلام

على من اتبع الهدى" و تأتي بعد السلام مباشرة التحميدات مثل: "فإني أحمد الله أو أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو" وقد يرد فيها ذكر التشهد أيضًا أو يكتفي فيها بعبارة: أما بعد.

وعندما آل الحكم إلى بني أمية وأراد معاوية بن أبي سفيان أن يطور شؤون الدولة الإسلامية؛ أنشأ ديوان الرسائل هذا الديوان يعنى بشؤون المكاتبات التي تصدر عن الخليفة إلى ولاته وأمرائه وقادة جنده وملوك الدول الأخرى. وقد كان الخليفة في بداية الأمر هو الذي يُملي الرسائل على كاتبه، ثم بمرور الزمن أخذ الكاتب يستقل بكتابة الرسائل، ثم يعرضها على الخليفة وكان أسلوب الرسائل آنذاك تغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع كما حدث ذلك لاحقاً و شهد فنُّ الكتابة نقلةً كبيرةً في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده، ثم في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحيى الكاتب. فقد عُرف عبد الحميد بالبراعة في فن الترسُّل حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والإتقان، حتى قيل: "بدئت الكتابة بعبد الحميد".

و قال عنه جرجي زيدان في "تاريخ آداب اللغة العربية"(فتحت الرسائل بعبد الحميد و ختمت بابن العميد) ومن رسائل عبد الحميد المشهورة رسالته التي كتبها عن مروان إلى ابنه وولي عهده عبد الله حين وجهه إلى محاربة الضحاك بن قيس الشيباني الذي ثار في العراق ورسالته التي وجهها إلى عمال مروان بن محمد بالأمصار يأمرهم بمحاربة لعبة الشطرنج ورسالته التي وجهها إلى الكُتَّاب وأصبحت دستوراً لمهنة الكتابة.

وعندما قامت الدولة العباسية أخذ خلفاؤها هم الآخرون يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقهم، ولهذا السبب كثر الكُتَّاب، ونبغ كثير منهم في فن الترسل، وازداد التنافس بينهم ولا غرابة في هذا، لأن العمل في ديوان الرسائل أصبح مصدر رزق لهم، وغدا التفوق في فن الترسل وسيلة للحصول على ولاية أحد الأقاليم، بل إنه غدا مؤهلاً للوصول إلى منصب الوزارة، ونستحضر في هذا المجال أسماء: يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وعبد العزيز بن يوسف، وضياء الدين بن الأثير وغيرهم ممن أوصلتهم هذه الصنعة وهذا الفن إلى ما كانوا يطمحون إليه من نيل لأعلى المناصب فقد كان لا يصل إلى تولي ديوان الرسائل إلا من حسنت سيرته وذاعت شهرته و كان فارس بلاغة و صاحب إتقان و جودة في تدبيح و تطريز الرسائل.

وقد بلغ فنُّ كتابة الرسائل أوجَهُ في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بحيث يمكن لنا أن نصف هذين القرنين بأنهما يمثلان الفترة الذهبية لهذا الفن.

غير أن هذه الصناعة أصاب سوقها الكساد في عصور الضعف حتى غدت الرسائل ضرباً من التفنن في جمع الألفاظ و رصها إلى بعضها، ثم ابتليت الأمة بعد ذلك باستعمار بغيض ضعفت أثناءه الكتابة عموماً والرسائل خصوصاً، وعمَّ هذا الضعف حتى كاد فن الترسل أن يمَّحى لولا بعض الأدباء الذين أبقوا على حياته بفضل ما سطرته أقلامهم من روائع.

ثانياً: أنواع الرسائل

1. الرسالة الديوانية:

تسمى الرسائل التي تصدر عن ديوان الرسائل، الرسائل الديوانية نسبة إليه. وفي هذا يقول عبد العزيز عتيق عن الرسالة الديوانية: وهي الصادرة عن ديوان الخليفة، و الأمير يوجهها إلى ولاته و عماله و قادة جيوشه، بل إلى أعدائه أحيانًا منذرًا متوعدًا،

و تتنوع هذه الرسائل ، فهي تشمل: الرسائل التي تصدر مشتملة على تولية العهد، وتولية القضاة، والولاية، وما يتصل بأمور الرعية. كما أنها تشمل أيضا الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير إلى من هو مثله من أجل التهذئة أو البشارة أو المعاتبه أو التعزية وما أشبه ذلك.

ومن أنواع الرسائل الديوانية أيضا: رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، و اعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية، فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه وإعلاء شأنه، كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين من ثواب و نعيم في الدار الآخرة.

. موضوعاتها:

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات عديدة و متنوعة، فكان منها ما ذكرنا آنفًا أي رسائل الجهاد، وكان منها أيضا التي ذكرت الفتن والاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة

الإسلامية بعد التشتت و التمزق الذي أصابها، كما كانت مبايعة الخلفاء من الموضوعات التي تناولتها الرسائل الديوانية، و قد مالت كتب المبايعات إلى الإطناب و التطويل، و كان الكاتب يستهلها بالتحميد، و كثيراً ما يُطيل في تحميده حتى يشبه خطبة دينية قائمة بذاتها .

و يتصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين « في التهاني بما تحقق من فتوحات و ظفر على أعداء المسلمين، و كان استهلال رسائل التهذئة بالفتوحات سنة متبعة بين الكتاب حتى لتكاد تقترب في هذه السمة من الخطابة الدينية التي تجري على هذه الطريقة من استخدام التحميدات والإكثار منها.

و تضمنت الرسائل الديوانية أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم و كانت هذه الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة، و يتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكتاب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيه بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن و متابعة شؤون و أحوال الرعية و العمل على استقرار الأمور .

. خصائصها:

عمل النقاد و الأدباء القدامى على ضبط القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم، و تعتبر رسالة عبد الحميد إلى الكتاب الدستور الذي سنَّ هذه القواعد وأصبحت بذلك محترمة و متبعة و قد وضع عبد الحميد القواعد الفنية التي سار عليها كتاب الرسائل

الديوانية بعده؛ وقد ظلت طريقته تُحتذى لدى كثير من كتاب الدواوين في القرن الثالث للهجرة، وكان من هذه القواعد «التزام الكاتب في صدر رسالته بالتحميدات خاصة في موضوعات معينة كالتولية أو رسائل الجهاد، وقد طالت هذه التحميدات في بعض الرسائل حتى صارت أشبه بخطبة دينية مستقلة مما جعل بعض القدماء يجتزئون بالتحميدات عن مضمون الرسائل. كما تضمنت الرسائل الديوانية آيات قرآنية لتدعيم آراء و حجج الكتاب، واتجه بعضهم إلى تضمين أبيات الشعر ،وبذلك صارت الرسالة الديوانية معرضًا لإظهار ثقافة الكاتب و معارفه في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية.

2. الرسائل الإخوانية:

وفي مقابل الترسل الديواني، يوجد نوع آخر من الترسل يعرف بالترسل الإخواني، وهو الذي يكتبه الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية، كالتهدئة، والتعزية والبشارة والعتاب، وغير ذلك من أمور الحياة يعبر بها كاتبها عن الشوق و الحنين للأهل و الأصحاب.

يقول القلقشندي عن هذا النوع من الترسل: الإخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان والمراد المكاتبه الدائرة بين الأصدقاء .

وقد عدد القلقشندي أنواع الرسائل الإخوانية حتى أوصلها إلى سبعة عشر نوعاً هي : «التهاني، والتعازي، والتهادي، والشفاعات، والتشوق، والاستزارة، وخطاب المودة، وخطبة النساء ، والاستعطاف، والاعتذار، الشكوى، و استماعة الحوائج، والشكر والعتاب، والسؤال عن حال المريض، والأخبار، و المداعبة.

و لا نجد في طيات الكتب التي تحدثت عن هذا النوع من الرسائل أية إشارة إلى ما كتب في العصر الجاهلي، ولعل السبب يعود إلى قلة الكتاب في ذلك الزمن أو إلى عدم اهتمام الرواة بما كتب لانشغالهم بالشعر الذي روي منه شيء كثير وإلى ثقافة المشافهة التي كانت سائدة آنذاك. و أما في صدر الإسلام « فإن ما وصلنا منه رسالة إخوانية واحدة للنبي صلى الله عليه وسلم . يعزي فيها معاذ بن جبل . رضي الله عنه . في ابن له مات، وقد ضاع أكثر رسائل العهد الأموي من هذا النوع وما بقي منها فهو في النصح والإرشاد والعتاب والتعزية والاعتذار والشفاعة والرجاء وتبادل الآراء.

و الرسائل الإخوانية ينشئها الكتاب فقد كانوا يتراسلون فيما بينهم متخذين من الرسائل وسيلة للتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وما تتعرض له أحوالهم النفسية من نوازع متضاربة ؛فصوروا فيها ما يعنورهم من شوق وفرح وما يتعرضون له من أحزان وأفراح ؛ وما يداخلهم من رضا وغضب، واتسعت موضوعات الرسائل الإخوانية فأصبحت تعكس عواطف الكتاب في الصداقة والشوق والبشارة والفرق، و الاستعطاف والاعتذار وغير ذلك، وتنافس الكتاب في إظهار براعتهم في هذا اللون من الرسائل، فوفروا لها عناصر المتعة الفنية من تصوير وصياغة

وموسيقى؛ فجمعت بين المتعة الوجدانية، و المتعة الفنية، و أحدثت بذلك تأثيراً قويا في نفوس الناس مما جعل بعض الشعراء ينجذبون إليها ويتخذونها وسيلة لتصوير عواطفهم بعد أن أصبح كثير من الناس يفضلون المنثور على المنظوم.

. موضوعاتها:

تدور أغلب موضوعات الترسل الإخواني حول الجانب الإنساني وما يرتبط به من صداقة وأخوة، وعواطف نبيلة، وما يتصل بالصداقة كما عبرت عما كان بين بعض الأصدقاء من تبادل للهدايا على اختلافها، لكن يبقى موضوع الصداقة ... من أبرز الموضوعات التي اجتذبت الكتاب، فعبروا في رسائلهم عن هذه العاطفة الإنسانية النبيلة، وأشادوا بروابط الإخاء والمودة التي تنعقد بينهم.

وجدير بالذكر أن الرسائل الإخوانية لم يشترط النقاد في صوغها وبنائها شروطاً دقيقة ملزمة وإنما أطلقوا فيها العنان للكتاب للتعبير عن خواطرهم ومشاعرهم من غير قيد، لأنه ليس بين الإخوان ما يدعو إلى التكلف في الخطاب، مما جعل النقاد يفشلون في وضع قواعد وضوابط ملزمة لكتاب الرسائل الإخوانية، كما بيّنه أحمد بدوي «وقد حاول النقاد أن يضعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية، ولكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هذه المعالم بدقة» (28) وهذا ما جعل الترسل الإخواني أكثر أدبية وأكثر جمالاً من الترسل الديواني وجعل رسائله أدخل في الأدب ، و أقبل للتخييل و الصور

البيانية ، و الصنعة البديعية ، تحتمل الاقتباس من المنثور والمنظوم ، وتنافس الشعر في جل أغراضه.

. خصائصها الفنية من حيث الشكل والمضمون:

بعد أن تحدثنا عن أنواع الترسل، سنتكلم عن الخصائص البنائية لهذه الرسائل وما يشتمل عليه كل جزء من أجزاء الرسالة؛ من المقدمات إلى المضمون إلى الخاتمة وما ينبغي أن تشتمل عليه تلك الأجزاء.

1. بنية المقدمات:

عرف البناء الهيكل للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، منذ رسالة عبد الحميد إلى الكتاب إلى موسوعة أبي العباس القلقشندي مرورًا بغيرهما من المؤلفات التي نظرت لهذا اللون الأدبي، وعن هذا الاختلاف يقول الكلاعي: «و نظرت . أعزك الله . في صور الرسائل واستفتاحاتها فوجدتها أيضًا تختلف» ومقدمات الرسائل . ديوانية كانت أو وإخوانية . تشتمل عادة بعد البسمة والصلاة على النبي على المرسل والمرسل إليه، وتتضمن الدعاء، إضافة إلى التحية التي تذكر قبل البعدية وقبل الختام.

وتختلف استفتاحات الرسائل، ويختار الاستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدمًا عن المرسل بصيغة: لفلان من فلان. وقد يؤخر ذكره فيكتب: من فلان لفلان، وتكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته، غير أن كل الاستفتاحات كان يراعى فيها الجودة

والحسن والبراعة لأنها تقع في البداية وهي أول ما يطرق السمع من الكلام، فيكون داعية للانسراح و إثارة انتباه المتلقي، وقد كان يُلجأ إلى المنظوم فبدأ الرسالة بأبيات شعرية لكتابها أو لغيره تدل على المضمون العام لها و تختصره في كلماتها، وكثيراً ما يلجأ الكتاب إلى الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعها ومقدماتها كعملية ربط وحسن تخلص.

2 . بنية المضامين :

ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبحسن تخلص ليطرق الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، وغالباً يقع حسن التخلص بصيغة: أما بعد وهي وقفة بين الابتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيتها . الإخواني والديواني . ومست مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية، فكان كتاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء، ويكتبون بمناسبة نصر جيوش المسلمين والتهنئة بذلك . وفي الإخوانية يتبادل الأصدقاء الرسائل ويتطرقون فيها إلى الشوق والاعتذار والتهنئة بالزواج والمولود الجديد والتعزية والشكر و الدعوة إلى حضور مناسبة من المناسبات وغيرها من الموضوعات.

خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها ،وتكون في الغالب بلفظ "السلام" أو "السلام ورحمة الله تعالى وبركاته" وتكون مسبوقاً بالدعاء، كما تشتمل كثير من الرسائل على التأريخ باليوم والشهر والسنة كعلامة على انتهاء الرسالة وإن كانت بعض الرسائل تورخ في البداية، ويتم التأريخ بما

مضى من الشهر باعتباره معلومًا، ويشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة وحسن
لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع

على أن هذه العناصر البانية للهيكل العام للرسائل غير ثابتة ومستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها
في بعض الحالات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج.3.
2. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج.7، .
3. الحضارة الاسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، فون كريم، تر. مصطفى طه
بدر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1292هـ،
4. القلقشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه محمد حسين
شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1407 / 1987، 1 / 15.

5. بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، دار الجيل، بيروت - لبنان،
طبعة جديدة ومنقحة، لاتا، 2/ 389
6. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - 1387 هـ، ج.7.
7. حسني محمود حسين : أدب الرحلة عند العرب ،المكتبة الثقافية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1976.
8. عبد الوهاب محمد العمراني : مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب: رؤية يمنية في أدب الرحلات، دار الخليج ، عمان، دط، 2017 .
9. لطيف زيتوني : السيميولوجيا وأدب الرحلات ، مجلة عالم الفكر ، العدد 3، عدد 24.
10. ((ديوان عمرو بن كلثوم)) (ص: 75).
11. ((البيان والتبيين)) للجاحظ (2/218).
12. ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق (2/ 294).
13. ((ديوان الخنساء)) .
14. ((ديوان طرفة بن العبد)) .
15. ((في تاريخ الشعر الجاهلي)) لعلي الجندي .
16. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابة و نقده، ج 1، لاطا، بيروت، دار مكتبة الهلال، 2000.
17. ابن قتيبة ((الشعر والشعراء)) (1/ 137)،

18. أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلي منتصف القرن الثاني، ط: 5، بيروت، دارالقلم، 1976.
19. أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، لاطا، مصر دار نهضة للطبع و النشر، 1979..
20. امرؤ القيس: الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط4، 1984.
21. جواد العلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السافي، ط4، 2001، ج18.
22. الدكتور مصطفى الشكعه ، كتاب الشعر و الشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
23. ديوان عنتره
24. زكي طليمات و عرفات الأشقر ((الأدب الجاهلي؛ قضاياها أغراضه أعلامه فنونه)) .
25. شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي..
26. عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه و خصائصه، الهدية المصرية العامة للكتاب، 1987.
27. عبد العزيز شرف ، الأدب العربي في العصر الاسلامي ، دار الثقافة ، القاهرة .
28. عبد الله عبد الجبار ، الشعر العربي في العصر الاسلامي ، دار الفكر ، بيروت.
29. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، لاطا، بيروت، دار المعرفة، 1981.
30. علي العبدي : في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991.
31. محمود محمد شاكر ، تاريخ الادب العربي ، دار المعارف ، القاهرة .

32. ((الأغاني)) لأبي الفرج الأصفهاني (9 / 111)، ((خزانة الأدب)) لعبد القادر البغدادي (197/2).

33. ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (6 / 33)، ((ديوان المعاني)) لأبي هلال العسكري (1 / 122).

34. ((العمدة في محاسن الشعر وآدابه)) لابن رشيق 2 / 143.

35. ((المفضليات)) للمفضل الضبي (ص: 300)، ((شرح المفضليات)) لأحمد شاکر وعبد السلام هارون .

36. يوسف الصائغ، الشعر الحرّ في العراق منذ نشأته حتى 1985، لاطا، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، 1978.

37. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، دت، ط3.